جمعية الفكر والإبداع الثقافي

إصدارات جمعية الفكر والإبداع الثقافي

محمد لراشيش

حمار بطا

• روايـة •

حِمار جُحَا

رواية

محمَّد لراشيش

الطبعة الأولى 2024

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو الكترونياً أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون اذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

العنوان: حمار جحا

الصنف: رواية

المؤلف: محمد لراشيش

تصميم الغلاف: ساخر أحمد

الإخراج الفني: محمد لراشيش

البريد الإلكتروني: artistelara@gmail.com

© جمعية الفكر و الإبداع الثقافي 2024

ردمك: 978-9931-851-03-5

الإيداع القانوني: جويلية 2024

خميس مليانة، ولاية عين الدفلى - الجزائر-

النقال/الواتساب: 843 894 0791 (213)+

البريد الإلكتروني: elfikrewaibdaa@hotmail.com

تقديم:

رواية حمار جحا للروائي محمد لراشيش إبداع أدبي زاخر بالأحداث، وحركية سردية نشطة، تنم عن قدرة المبدع على الحكي، من خلال توظيفه لراو بضمير المتكلم الذي كان يلج الأحداث ويحسن الخروج منها، فهو يتنقل بنا من عوالم بسيطة إلى عوالم أخرى معقدة، باحثا عن عما يخفف من آلامه، وذلك من خلال رحلاته التي وجد فيها الأنس وراحة البال من غربة الديار، وحتى غربة النفس المشحونة بشتى أنواع الهموم وصنوف الانكسارات، وخلال سفره يقف عند تحد مضن وهو أن يكمل روايته: حمار جحا. كل هذا في تداخل سردي جدير بالقراءة.

هذا الخطاب السردي الذي تتجلى فيه الغربة، ومحاولة يائسة من السارد الاستئناس بها، بسبب فقده لأحبابه وتركه لأهله، دفعه ذلك للولوج إلى عالم الخرافة، خرافة جحا، وفي الأصل اسمه الكامل: أبو الغصن دُجين ابن ثابت الفزاري من البصرة، وما لقب بذلك إلا لكثرة نكته المضحكة، والذي ظهر في تركيا بعد ذلك باسم ناصر الدين جحا في القرن السابع عشر ميلادي، وظهر حتى في قلب الأناضول المغولي، ثم انتشر في العالم بأكمله، فأصبح لكل بلد جحاه.

ما يثير الدهشة والتشويق في نفس الوقت، هو أن الراوي يجمع بين عصرين مختلفين: الأموي والحديث، ورغم الاختلاف فإنهما يلتقيان في تيمة اسمها الاغتراب، سواء في عالم الحيوان أو الانسان، كما يتجلى تأثر السارد بقصص كليلة ودمنة، من خلال استنطاق الحيوانات ومنحها صبغة تخيلية لتقع في صراع بينها وبين البشر، خاصة بعد عزل الأسد وتنصيب الحمار

بورورو ملكا على الغابة، ومن هذه المحطة تنطلق سلسلة طويلة من التعقيدات والأحداث المشوقة تنم عن رؤى وخلفيات متنوعة جلها ينحصر في الجوانب: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هذه الأطر الثلاث هي التي سارت بالرواية إلى نهايتها، ولو أننا نرى أن للرواية نفس ثان، ونقصد بذلك ولادة جزء آخر منها فالسارد يمتلك نفسا في الحكي.

من ناحية أخرى، تظهر للقارئ الناقد توظيف التقنيات السردية الحديثة، فهي متوفرة، على سبيل المثال لا الحصر: تقنية الحوار التي طغت على المشهد السردي من بدايته الى نهايته، ومن خلال هذه التقنية تمكن السارد من إيقاف الأحداث، وبث جمل من الرؤى والدلالات ومنح لشخصياته القدرة على التعبير وابداء الرأي، ومن جهة أخرى تعرفنا على نمط روائي متميز وهو الرواية النفسية من خلال تبادل الكلام للشخصيات، فكل واحدة منها تبث خلجاتها ومشاعرها الداخلية، فالسارد ملم بشخصيات، وهذا ما يسمى في الدراسات النقدية السردية بالرؤية من الداخل، وهذا لا يعني هيمنة هذا النوع من الرؤية، فهناك رؤية من الخارج، ورؤية مع أي مصاحبة للشخصيات.

المشاهد السينمائية تواجدت في ثنايا الرواية، على شكل مقاطع مشهديه تصويرية، مما يجعل القارئ يرى الأحداث تمر أمامه وكأنه يشاهد شريطا سينمائيا، كل هذا ينم على أن المبدع محمد لراشيش يمتلك تلك القدرة الإبداعية، فهو ملم بالتقنيات السردية الحديثة، إلى جانب امتلاكه للنفس

الســـردي أي القدرة على خلق وقائع جديدة وتخييل عوالم جديدة قد نراها في الجزء الثاني بحول الله تعالى.

الدكتور بلقاسم زوقار

جامعة الدكتور يحي فارس المدية

ألقاب الشخصيات مخيالية،

وإن تطابقت مع الو اقع، فالكاتب ليس مسؤولا عنها، فهي محض الصدفة لا غير.

الشخصيات الرئيسية

الإنسان:

أمين

حمزة

جحا وابنه سالم

عمر الحرفي

سرحان زناتي

مقداد سبيعي

سعيد مستور

بختة عيشوبة

الحيوانات:

الحمار: بورورو

القنفذ: سنيكا

الأرنب: روزي

الغراب: تيتي

الثعبان: سوسان

الديك: روك

البقرة: دالي

رئيس الحمير

الفأر: نينو

السلحفاة: سيسا

النسر: فوركا

الكلب: أوكتا

المعزة: نينا

الإوزة: فيفا

إنّ حظي كوردٍ في بستانٍ زرعوه

وقالوا لأطفال يوم عيد اقطفوه

سهُل القطف عليهم فقاموا يضحكون

إن من أغناه ربي كيف لكم أن تحسدوه

بدأت سفريتي إلى مكان جميل طالما حلمت بزيارته يوما، بدأت بجمع أغراضي التعيسة وكل ما أحتاجه لخوض تجربة جديدة، أبحث عن كل جديد فالروتين يفسد صفو الحياة ويقتل الأحلام، أريد عيش نعيم أيام تتراقص فخرا بحضن ذلك المكان. مكان يعشق الضيوف ولا ينزعج منهم ولا يزعجهم حتى وإن أطالوا البقاء، عندها يصيرون من أهل الديار.

سفري هذه المرة ليس كالعادة، سيكون سفرًا بريئاً بطعم الهجرة الحزينة، سأحاول ألا أكشف ذلك الحزن لعائلتي، أصدقائي وحتى المكان الذي يخفي كل أسراري، رحلة قد لا تحمل طريقا للعودة مثل رحلاتي السابقة التي اعتدتها.

من يعشق السفر سيأتيه يومٌ يختار مكاناً واحداً يحط به رحاله ويستقر، فيما مضى كانوا ينادونني المسافر لم يخطؤوا في هذه التسمية، هذه الكلمة بالذات رسخت في ذهني و تصدرت كل المصطلحات التي أتذكرها في كل وقت و حين، كانت أيضا من بين الكلمات المحفزة والوقود الذي يُشغلني كي لا أتوقف عن تحقيق أحلامي، كلمة جعلتني أثبت أنني مسافر حقاً، أصبحت لا أطيق البقاء لوقت طويل في بلدتي التي كانت تشتكي من عدة أمراض، كنتُ

دائم التنقل من مكان لآخر، أكتشف دولاً، مدناً، شعوباً وثقافات جديدة، كنت أتأقلم بسرعة مع أي مكان أذهب إليه ربما ذلك يعود إلى طبعي الاجتماعي أو ربما لاتقاني عدة لغات و التي مكنتني من التواصل بسرعة مع غيري، فأنا أؤمن بالمبدأ القائل "من تعلم لغة قوم أمِن شرّهم"، و أضيف على ذلك "كسب ودهم".

بدأ أحد الأيام الشاقة في مسيرتي قبل لحظات من رنين منبه الساعة الخامسة والنصف صباحاً، كنت قد استيقظت، جهزت نفسي في غضون نصف ساعة وخرجتُ من المنزل أين تركت الكل نائما إلا أمي التي سبقتني إلى الباب الخارجي كي تودعني:

- أتهلا في روحك.. وكي توصل عيط. (اعتني بنفسك.. وعند وصولك اتصل)

كان جوابي مقتضبا على آخر جملة أسمعها منها، وقد اقتصر على:

- إن شاء الله.

لم أستطع قول أكثر من ذلك أو البقاء لدقائق أخرى وإلا كنت تأثرت وبكيت، ما أصعبه من فراق.

لم تكن تعلم إلى أين أنا ذاهب بالضبط وإن سألتَها إلى أي بلد سيذهب أمين؟ تقول لك "إلى الخارج" والمقصود بذلك إلى أي دولة أجنبية بكل بساطة، لأنها لا تجيد ذِكر أسماء البلدان، بالرغم من صغر سنها وهي في عقدها السادس لكنها أميّة لم يسعفها الحظ بأخذ حقها من الدراسة، التقت أبي وتزوجها في سن مبكرة و كذلك غادرها في سن مبكرة، كانت في سن السادسة والعشرون فقط لما توفي، تاركا لها ثلاث أمانات لم يتجاوز سن أكبرنا الخمس سنوات و أوسطنا يصغره بسنة، أما أنا فكنت مجرد رضيع في الشهر الثامن لا أعِ شيئا من الدنيا، هكذا تمر الأيام والسنوات بسرعة.

لم أُطِل البقاء مع أمي عند الباب كي لا تبدأ دموعي في التهاطل، قبلتُ رأسها وتركتها تغلق الباب.

ها أنا ذا بشوارع مدينتي البائسة أمشي وحيدا لا أحد يشاركني الطرقات والخطوات فالكل على ما يبدو لم يفارق سريره بعد، آثار المطر على الأرض، حفر هنا وهناك، في كل الزوايا والأركان، كلها كانت مليئة بالمياه ما إن تتفادى

الواحدة حتى تقع رجلك في الأخرى، دون أن نغفل عن قطرات الوحل التي تتصاعد من على الأرض لتلتصق وراء السروال فترسم بقعاً بنّية، حتى الرصيف لم ينجُ هو الآخر، لا ضوء ينبع من أعمدة الإنارة، ترى ذلك المصباح المتدلي يمسكه خيط كهربائي متأرجحا يميناً و شمالاً، العش فوقه يُظهر هندسة الطيور بقطع الأغصان و ريش الطيور ملتصقة به، تساقط رذاذ المطر يلعب دوره أيضاً في هذا الوقت فيجعلك تفتح تلك المطارية الصغيرة خضراء اللون، علها ترد عنك بعضا من البرد المتسلل مع تلك القطرات التي تود معانقة جسدك، البدر يظهر بين الفينة والأخرى كأنه يسابق السُّحب في السماء، لم يبق له إلَّا سويعات ويغيب في الجانب الآخر من الأرض قبل ظهور أشعة الشمس، ينتهي دوره بكل هدوء وكأنه شخصية تلعب وراء الكواليس، يغادر دون أن يزعج أحدا، لتأتي الشمس بأشعتها ونورها، توقظ الجميع وتمنح العالم الذي تطل عليه حركة وحياة تبدو أحيانا منتظمة وأحياناً عشوائية متناسقة، هكذا تتبادل الأدوار بين الشمس والقمر كل في فلك يسبحون.

يبدو الشارع حزيناً على سكانه يرثي حالهم ويبكي مكانهم، يودع ويشجّع كل من يخرج منه ويغضب لعودتهم، لا يحبذ من يدّعي الحنين بل يشجّع كل

مهاجر ومغادر له كأنه ذلك الشيخ الطاعن في السن الذي ينصحك بحكمة وعن تجربة فيأمرك بالمغادرة "اذهب من هنا وغيّر حياتك علك تجد شارعاً وحياً أفضل وأنظف أو لربما تجد من يحتضنك ويلبي حاجاتك ورغباتك".

احساس بالغربة بدأ ينتابني وأنا أبتعد عن منزلي ومدينتي الحزينة كنتُ كلما أبتعد خطوة أنسى الكثير والكثير، كأنه مرض الزهايمر بدأ يصيبني، دخلت ذلك القطار ومن حظي أني وجدت في إحدى زواياه مقعداً شاغرا أجلس عليه، كنتُ أراقب الطريق من النافذة، من يمر في الرواق وحتى من كانوا يجلسون بجانبي وبالقرب مني دون أن يشعروا، هناك عائلات وشباب ذاهبون إلى العمل والبعض الآخر للدراسة بالجامعة وآخرون لزيارة عائلاتهم.

روتين اعتاد عليه الناس، تراه في كل مكان، في الشوارع، في الأسواق وعند ركوبك القطار أو الترام أو الحافلة،

كانت رحلة شاقة بالرغم من قصرها. قبل أن أصل ببضع كيلومترات من مطار هواري بومدين الدولي بالعاصمة تذكّرت قصة حدثت يوماً لأستاذي محمّد مايمون والتي كنت أتمنى ألاّ تحدث معي ولا حتى قصة مشابهة تمنعني من الوصول في الوقت المحدد، كان أستاذي كثير السفر داخل وخارج البلاد،

في يوم وهو بمدخل المطار وقبل موعد الرحلة بثلاث ساعات وجد نفسه في طابور طويل ينتظر اللاشيء فالمفاجأة كانت أن المطار مغلق!

ما حدث في مطارنا كان يتكرر كل مرة، كما أنه لا يمكنك أن تسافر منه إلا ويشدك ما يؤلمك!

إدارة عاجزة و فضائح لا تنتهي، اصطفت السيارات المغادرةُ للمطار في طابور طويل جداً في انتظار تصليح نظام الدفع عند بوابات الخروج حيث تجاوز الأمر نصف ساعة كاملة، لم يجد موظفو هذه البوابات عملا سوى وقف حركة السيارات وإجبارها على الانتظار، لم يكن أمامهم حلاً مناسباً لتجنب إضاعة وقت سائقي السيارات بسبب عطل تقني قد يطول تصليحه، اتصل خط سير السيارات المغادرة بخط سير السيارات القادمة وسُدّت الممرات وتعطل كل شيء.!! لا ندرى متى يتعلم موظفو مطارنا الدولي كيف يتصرفون مع مثل هذه الحالات، فهم ليسوا مدربين أصلا لمواجهة المشكلات الطارئة واتخاذ القرار المناسب عند حدوث مثل هذه المشاكل، أصبح البشر مثل الآلات يحتاجون لبشر آخرين لبرمجتهم.

كان من الممكن أن يكون القرار هو تسريح السيارات في فترة إصلاح نظام الدفع، أو اعتماد التقدير المباشر لمدة التوقف، أما تعطيل كل شيء فهو أمر غريب يجعلنا نفهم بأن العقول عاطلة قبل أعطال الكمبيوتر وحتى عطل الكمبيوتر لا يتعدى أن يكون سببه هو هذه العقول العاطلة التي لا تزال تدير الشأن العام لتاسع أكبر دولة في العالم !!؟.

حمدت الله أنه لم يحدث أي عُطل من أي نوع وأنني عبرت البوابة دون عناء ودون أن ترنّ أجراس الإنذار ودون أن يعثر الشرطي على ما أحكمت إخفاؤه لقد فتَّشوا داخل حقيبتي، حذائي وسروالي لكنهم نسوا أن يفتّشوا داخل قلبي، مخيّلتي وذاكرتي، لقد نسوا أين تخبئ الآلام والذكريات وحتى الهموم.

لم يسألني الشرطيّ إن كنت أحمل كرهاً أو حبّاً لوطن لفظني على قارعة الحياة مثلما تلفظ البِحار جثث الحراقَّة الذين اختاروا سبيل الهجرة الغير شرعية هربا من حاضر مجهول لمستقبل أكثر غربة، يلفظهم مع الحيتان وحُطام السفن كأنه يتقيأ كل همومهم التي حملوها داخلهم هربا، نسي أن يسألني إن كنت أخبئ نقمة و حقداً بين ثنايا شراييني و طيّات الذكريات، غادرت وفي القلب حرقة مخبّأة منذ سنين، اجتزت بواباتهم وأعوانهم دون أن يتفطنوا لما أحمله من دَمار وحطام إنسان يحاول ترميم نفسه مثل تمثال

لا زال النحّات يدقّ جوانبه بالمطرقة، مثل الجنديّ الذي حارب سنواتٍ من أجل بلده و في الأخير دُفن في مقابر الأعداء دون شواهد على قبره، هكذا هي الأوطان أنجبتنا وأودعتنا الملاجئ، تركتنا نعيش فوق أراض لم نخترها، نحمل أسماءً غير أسمائنا وبصمات غير بصماتنا، نحن أولئك الذين يصعب التعرّف عليهم، نحن أيضاً جُبناء وأغبياء تركنا أرضنا، هويتنا، عاداتنا وتقاليدنا، تركنا أهلنا، أصدقائنا، أحبابنا وهربنا مع أول فرصة أتيحت لنا دون النظر إلى الخلف بعد أن قدمنا الكثير لهذا الوطن الجائر ولم نأخذ مقابل ذلك شيئاً.

عند اجتيازي كل المراحل الصعبة وعبوري ممر السعادة (كما يحلو للكثير تسميته) دخلتُ الطائرة وجلستُ على الكرسي بجانب النافذة الصغيرة أحسست أنني خرجت من القفص الحديدي الذي كان يكتم أنفاسي وتنفست الصعداء، كنت معتادا على اختيار الجلوس بجانب النافذة لأنها دائماً ما تنسيني همومي و أحزاني وتأخذني إلى الأفق البعيد كما أعتبرها أيضاً مؤنستي في سفري، هنا في هذه اللحظات وفي هذا المكان ترى وجوها تملئها سعادة حقيقية، فمنهم من يسافر لأول مرة على متن الطائرة، مما لا شك فيه أن هذه الأخيرة كانت حلمنا كلنا منذ صغرنا فما إن نراها في السماء ترسم خطاً أبيضا أو ضوءً متحركا ليلاً لا يمكن أن نطأطأ رؤوسنا حتى تمر و تتوارى عن أنظارنا، وجوه سعيدة ليست مثل التي نلتقيها بالقطار

أو في الحافلات تبدو كأنها مزينة بمكياج السعادة... قليل من أحمر شفاه السرور ورشة من بودرة الحبور دون نسيان خط كحل الفرح على عيون زينها ظلال عيون بلون قوس قزح الأحلام.

جاء دور تلك الآنسة التي كانت ترتدي بزة زرقاء مع أحمر شفاهٍ فجٍّ كأنما تستعدُّ لإكمال باقي وجهها لتمثيل دور مهرّجٍ هاوٍ، لا تنسى ما يطلب منها كعادتها ولا تنزعج من روتينها اليومي.. وقفت بين الصفوف مقابلة المسافرين بدت كأنها مقدمة أخبار الطقس والأحوال الجوية: "في حالة الطوارئ ارتدوا ذلكَ القناع على رؤوسكم بعد أن تدخلوا أيديكم في جيوبكم وترتدوا أحذيتكم، ابقوا في أماكنكم، ولا ترموا بأنفسكم..." دعوها تعمل ما تريد فإنها مأجورة عليه.

لم أكن مركّزاً معها ولم أكن أبالي بما كانت تقوله، في هذه الحالة أو في حالة الطوارئ من يتذكر كلامك يا سيدتي و يتذكر مكان تلك الألعاب أو كيف يلهو بها، يا سيدتي المحترمة لقد ذكرتني بتلك الأستاذة السمراء ذات الشعر الغزير الأسود الفاحم، أستاذة جديدة في عامها الأول لا تملك خبرة في التدريس ولا حتى منهجية تعتمد عليها كمهارة لتسيير حصتها، كانت تدرّسني اللغة الفرنسية في السنة الثالثة ثانوي، كنت أركّز فقط مع ما كانت ترتديه في كل مرة، طريقة جلوسها فوق المكتب كأنها كانت تتعمد ذلك لتلعب بمشاعرنا وتدغدغ شهواتنا ونحن في سن المراهقة لم أكن أستوعب ما كانت تلقيه في الدرس حتى أنني لم أتعلم اللغة الفرنسية إلا بعد خروجي من

الجامعة، كنت أدفع مقابل دروس خصـــوصـــية في معاهد خاصـــة بتعليم اللغات الأجنبية.

تقولين الطوارئ يا سـيدتي تلك الدقائق الأخيرة أفضـل أن أغتنمها حاملا هاتفي النقال لأن الأنترنت سـتتوقف بعد لحظات من إقلاع الطائرة، السـيدة الجميلة لازالت تشـــرح للمبتدئين كيفية تعاملهم مع حالات الطوارئ، كنت أتخيّل حينها أنها حين تنتبه لي ستقول أنني لا أتابع شرح التعليمات:

- هاي أنت.

- أنا؟

- نعم أنت، أعد ما كنت أقوله.

- هههههه، ماذا كنت تقولين يا سيدتي؟ هههههه

أخبريني يا ترى من سـيظل عقلهُ وأنفاسـه هادئين في حالة الطوارئ ليفعلَ ما تطلبين أو ما كنت تشرحين.

اربطوا أحزمتكم سـتقلع الطائرة بعدَ لحظات.. هذا الأمر الوحيد الذي كنت أحترمه وألتزم به.

لحظة الإقلاع هي اللحظة الجميلة التي كنت أحبها، لقد كانت جزئيتي المفضلة، هذه العبارة تضمن لك بداية الرحلة رسمياً وعدم الغائها، ورؤيتك الأرض من السـماء وأنت تعلو فوقها ذاك احسـاس خاص قد لا يمكن أن

ينضب، إنها تجربة رائعة حتى لو تكررت عدة مرات، أضمن أن ذاكَ الشعور لا يكتبُ في سطور ولا يقرأُ في منشور؛ ذاكَ شعورٌ يُعاش و أنتَ بين السماء و الأرض، كنت أتخيّل نفسي أنني هناك في ذلك الشارع أمشي رافعاً رأسي وأنظر إلى تلك الطائرة، أدعي الله سبحانه عز و جل أن أكون على متنها يوماً، أتذكر في عدة حالات وأنا في إحدى تلك الشوارع التي تبدو الآن صغيرة كأنها خيوط على بساط منسوج، عائدا إلى بيتنا بعد أن أمضيت يوما كاملاً دون غداء، وها أنا ذا آكل وجبتي على الطائرة التي كنت أتمنى ركوبها، أتذكر أيضا يوماً حين كنا صغاراً نغني ونردد بأعلى صوت عند رؤيتنا اياها: "...طيّارة طيري بيا.. وديني لمالِيا، ماليا بْعاد عْليا..." (يا طائرة طيري بي وخذيني إلى أهلي، أهلي بعيدين عني). حتى تختفي عنا.

رحلتي هذه قاربت 24 ساعة على متن الخطوط الجوية الألمانية، طائرة رقم 321 رقم الرحلة LH1317 قضيت ليلة في فرانكفورت المدينة الألمانية متجولاً في شوارعها، اختارت لنا شركة الطيران فندقاً قريباً من المطار وفي الصباح استيقظت باكراً حاملا حقيبتي الصغيرة نزلت إلى بهو الفندق وضعتها جانباً ودخلت جهة يميني قبل أن أجلس إلى الطاولة، أخذتْ كأساً أبيضاً من السيراميك وملعقة قهوة طويلة، ملأت الكأس حليباً، أضفت له الشوكولاطة وملأت الصحن بالشوفان وبعض المكسرات وضعتهم على الطاولة ثم ذهبت لإضافة البيض و الفاكهة لفطوري، جلبت أيضاً حبة

حلوى تقليدية لا أعرف اسمها، لكن شكلها كان مشهيا، كنت متوتراً بعض الشيء لأنني لم أصل إلى المدينة المقصودة بعد كانت استراحة ترانزيت فقط لكن تغيّرت فيها الأجواء بالنسبة لي فالكل هنا يتحدث بالألمانية التي لم أكن أفقه فيها شيئاً، بعد دقائق فقط من انهائي فطور الصباح وصلت الحافلة لتقلنا إلى المطار مع اقتراب وقت الرحلة التي كانت مقررة في الساعة التاسعة 9 صباحاً، أقف أمام رواق الدخول تحضيراً لموعد الانطلاق المبرمج على الساعة 11:05 على متن الرحلة رقم LH802.

وصلنا أخيراً إلى السويد عبر مطار ستوكهولم أرلندا بحلول الساعة 13:10، خرجت منه بعد نصف ساعة فقط حيث لم تطل الإجراءات. بعد انتظار طويل لبداية مرحلة جديدة في دولة جديدة بالنسبة لي فأنا لم أزرها من قبل حتى لغتها مختلفة ومناخها متغيّر عن بلدي، ذاك الاحساس أنك بين أحضان حضارة أخرى لم نعهدها، لكن ما إن تصل حتى تندمج، لن تحس نفسك غريباً ستحتضنك وتجعلك من أهلها وواحدا منها، التمست هذا الأمر وتأكدت منه بعد خروجي من مطارها، لا ينفر منك أي شيء، هواءها، سكانها، أرضها.. نعم لست غريباً هنا..

كما قال لي صديقي حمزة: يا أمين هذا بلدك فلا تستحي من نفسك.

حمزة هو ذلك الشاب الخلوق المتميز في مساره الدراسي بعد أن تحصل على منحة دراسية يطمع فيها الكثير، هو الآن مقيم بهذه المدينة منذ أكثر من عامين، كان قد بدأ في البحث عن منح دراسية في الدول الأوروبية وقد ضفر بواحدة ليكمل الدكتوراه في مجال الالكترونيك. كان حمزة في كل مرة يستدعيني للمجيء إلى هذا البلد حتى جاءت الفرصة المناسبة والتقينا في بلاد الغربة بعد حصولي على التأشيرة.

يقول: متى تأتي يا أمين؟

- قريباً يا حمزة.. قريباً، فأنا مشتاق لبلد لم أزره من قبل، دعني فقط أُرتّب أموري هنا وهذه المرة بإذن الله سأجرّب حظي وأدفع طلب تأشيرة للسويد.

توجهت أنا و حمزة مباشرة إلى شقته التي سأقيم فيها معه، وفي طريقنا شارك معي الأنترنت من هاتفه كي أتواصل مع العائلة، أرسلت بعض الصور لأخي و طمأنته أنني وصلت بخير كما وضعت بعضا من تلك الصور كستوري على مواقع التواصل الاجتماعي، كان الجو بارداً و آثار الثلوج في كل مكان، عند وصولنا المنزل وجدته قد حضّر لي وجبة ساخنة مسبقا و رتّب لي سريرا

خاصـــا بي لأنام عليه، بعد أن أخذت قســـطا من الراحة أخذ يســـألني عن الأصدقاء، عن البلد، عن كل شيء حتى أننا تحدثنا في أمور السياسة التي لا نفقه فيها شـيئاً أو بالأحرى كنا نريد تجنب الحديث في مواضـيع عقيمة، كان مطلعاً على كل صـغيرة وكبيرة عما يحدث في البلد أكثر مني، لديه أخبار أنا لا أعرفها، بينما كنا في ذات الوقت ننبش حقيبتي المفتوحة بيننا ككنز علي بابا، نعرف أنه يحمل الكثير من المفاجآت، كان ذلك حقيقيا فكنزنا كان بعض المأكولات التقليدية التي يشتهيها كل من أكل من صحون الغربة والحنين، كما أحضـــرت له وثائق أرســـلتها له عائلته فقد أوصـــاني بإحضـــارها معي عندما بدأت بإجراءات السفر.

- دعك من أخبار السياسة يا حمزة، قل لي: متى تنوي الزواج؟

أجابني وهو يضحك:

- ههههه قريباً، الأمور تســير على ما يرام يا أمين، ارتح من الســفر أولا وبعدها اسألني عن الزواج.

- كنت أمزح فقط.

- أمثالك لا يمزحون، لا تقلق بشـــأن الزواج يا أمين، الأمر هنا أســـهل مما تتوقع. سنخرج بعد ساعة لأريك المدينة.

مر أسبوع و تعرفت على عدة أماكن للراحة من بينها متحف في ستوكهولم به حديقة رائعة اعتدت على زيارتها و الجلوس فيها هي حديقة سكانسن التي تعتبر متحفاً مفتوحاً على الهواء الطلق يعرض نمط العيش في مختلف أرجاء الســويد حيث يعتبر من أقدم المتاحف المفتوحة في العالم الذي تم افتتاحه سنة 1891 من طرف مؤسسه أرتور هازيليوس يحتوي على حديقة حيوانات تضم أكثر من 200 نوع، كنت أجلس فيها أتأمل المكان و كأنني أرتاح من تعبٍ طويل و همٍ ثقيل، جربت فيها ركوب الفونيكولار أو ما يسمى بالقطار الجبلي المائل يأخذك إلى قمة جبل ســكانســن، في هذا المكان ترى طريقة عيش الســويـديين على مر 3 قرون، تتعرف أيضـــاً على العـادات و التقـاليـد الاســكندنافية و الحياة اليومية لســكان هذه الدولة الجميلة، ما جرّني إلى مثل هذه الأماكن هو الهدوء و الاحساس بالأمن الذي يتسلل داخل جسمك مع أشـعة الشـمس الدافئة التي بدأت تظهر في هذا الفصـل، هدوء يجعلك تريد أن تستلقي و تنام في أي وقت و في أي مكان تريده، هنا أنت لست مجبرا

على أن تخاف على أغراضـــك من الســـرقة ولا حتى من التهديدات التي قد تأتيك من حيث لا تدري.

نقاء وهدوء شـديدين يعمّان المدينة يوحيان لك أنها مهجورة الا من خدم مخصـصـون فقط لتنظيفها، لا أطفال تراهم يلعبون في الشـارع، لا صـراخ يأتيك من الزوايا المختلفة ولا حتى ضجيج السيارات وأبواقها..

حديقة ســكانســن ليســت هي الوحيدة هنا، فالبلد كله حدائق وأماكن للتنزه، لكنني اخترت هذا المكان لعدة أســباب، إنه حقاً مكان مذهل كنت آزوره دائماً وفي كل مرة أسـأل نفسي هل أنا في حلم أم هي الحقيقة الغامضة التي لم أعهدها؟ هل تحقق حلمي وأنا الآن ألتمسـه وأعيشـه؟ بصـراحة كان أكبر من الحلم الذي كان يسري بخلايا دماغي.

قررت هذه المرة أن أغتنم فرصـــة الهدوء لإتمام رواية قد بدأت نســج خيوطها منذ ســنوات والتي بقيت محفوظة في الذاكرة ومســوداتها تتبعني في المحفظة، لكن الذكريات والمشـــاعر الثائرة داخلي تمنعني وتجذبني لتذكر مشاهد عشتها ذات يوم، أسترجع كل لحظة كنت فيها مع عائلتي وأصدقائي، الحلو منها والمرّ، تلك الحياة الهادئة الممزوجة بالملل التي لا تحفزك لشـيء

غير الذهاب إلى مقهى المدينة ومتابعة مباريات كرة القدم عبر تلفازها المعلق في أعلى الجدار، المقاهي بالجزائر تختلف تماماً عن مقاهي الدول الأخرى، فلكل خصوصيته وما يميزه عن الآخر، وهذا الاختلاف الذي يعطي للحياة طعما أجمل. تتميز مقاهينا بنماذج نادرة من الزبائن الذين يحملون ثقافتهم الخاصة، كنت أتذكر دائماً تلك الأشياء التي كانت عائقاً في حياتي والمشاكل التي كنت أواجهها وأحاربها، يسحبني الزمان إلى الوراء لأتذكر أيام الصبا، أيام الدراسة، أتذكر تلك المرحلة التي كنت أعمل فيها بالمصنع بعد تحصلي على شهادة جامعية في مجال الميكانيك، لم يدم ذلك طويلاً بسبب المشاكل والضغوط التي تفرض في العمل على جميع العمال كنا نُعامل وكأننا عبيد، أتذكر أيام البطالة والفقر التي أصبنا بها عند تطبيق سياسة التقشف، وأحياناً تأتيني صور الأشخاص الذين كنت أعرفهم من أصدقاء وجيران وأحياناً تلك الفتيات اللواتي كنت أتمناهن زوجات لي، حينها أصاب بنوبة من الضحك الممزوج بالأسف، ليت تلك الذكريات لم تتبعني إلى هنا، كنت أظنها ستظل عند شرطة الحدود فكيف تسللت من أجهزة السكانير؟ لا أعرف كيف أتخلص منها. تباً لها لقد أنستني ما جئت لأجله، الذكريات البائسة لا داعي لتذكرها الآن فهي من أكثر الأمور السلبية التي تعكّر صفو

الجو بل حتى النفس كما تفسـد نعمة الاسـتمتاع بالحياة وجمال الطبيعة.

نعم أتيت هنا لسـبب محدد ألا وهو تلك الرواية التي أتعبتني و انتقلت معي إلى كل مكان، حاملة لواء السـفر مثلي، رواية طالما سـكنت بخاطري، كنت أريد كتابتها عندما أبلغ من الكِبر عتيّا كي تكون رسـالة من رجل حكيم إلى الجيل الجديد، لكن شاء القدر أن أصل إلى ذلك السن في وقت مبكّر، ذلك السـن الذي يظّن البعض أنه خاص فقط بالحكماء، لكن سـن الثلاثينيات في بعض الأحيان يشـد أواصـل البعض، يقوي عظمهم و يمنحهم شـيب التجربة ليصـبحوا حكماء و عقلاء، اضـطرتني الحكمة المبكرة لأن أكتبها وأرويها الآن، هذه القصـة تبدو كأنها ذلك المولود الذي يريد الخروج من بطن أمه قبل اتمام التسـعة أشـهر، يرغب بملامسـة النور، يأبى إلا أن يغتنم تلك الأشـهر للبدأ في خوض حياة صـعبة، حياة مليئة بالتجارب والامتحانات فكلنا خلقنا لشـيء "كل لمن خلق له ". هذا المولود يبدو وكأنه يعرف لما خلق، إنها روايتي طبعاً تود الخروج للنور واختراق حاجز الصمت في أقرب وقت.

أود نصحكم بشيء فتذكروه دائماً، إنْ أردتم قراءتها فالوقت المناسب هو الليل حيث السـكينة والهدوء لا أحد سـيزعجكم، فربما تنامون على وقع أنغام صـفحاتها ولا تكملونها، سـيجعلكم عشـق السـكينة واندماجكم مع

حروف القصة تنتظرون حلول الليل كلما استيقظتم صباحا دون اكمال الرواية، بلا شك ستُذكركم بقصص ألف ليلة وليلة حين يداعب الكرى شهرزاد وتسكت عن الكلام المباح، وحكايات كليلة ودمنة لابن المقفع وستعرفون السبب في ذلك.

تلك الرواية كنت أسمع بعض تفاصيلها وأحداثها من جدي الذي كان يروي لي قصصا واقعية ومآسي ثورتنا المجيدة، حياة المجاهدين وانتصارهم على العدو الفرنسي، أما بعضها الآخر كان على شكل معانٍ خفيفة الفهم احتراما لصغر سني، كانت قصصاً يرويها لي أحياناً على ألسنة الحيوانات لترسخ في ذهني، نهايتها كانت تنتهي بعبر ورسائل نبيلة، أما جدتي كانت تحكي لي حكايات من التراث الشعبي فقط لتضحكني وتسليني، كنت أحياناً أنام قبل أن تنتهي من قصها، من بين الحكايات قصص جحا، فيا ترى هل جيل اليوم يعرف حكايات جحا ومغامراته؟ فهو مات منذ زمن غابر وحكاياته لم تعد تتداول بين العامة لم تعد تسليهم حتى، عكس ما كنا عليه نحن في أيام صبانا،

حكاية جحا أضحكتني أما حكاية حماره أنهكتني بلا شك ستكون رواية فهذا ظني، نعم أحاول أن أكتبها لتصبح رواية، ما يجب عليّ هو أن أرسم لها مدخلاً ومخرجاً وعقداً.

فمن أين تبدأ الحكاية؟

لقد مات جحا و انقسمت الرو اية

إنه قدرالله...

زارالحمار بلدتنا يحمل صندوقا بداخله ورقة

فاجتمع القادة والسادة وأعوان المدينة

قدموا التعازي و انتشروا

فمن يقرأ للحمار الرسالة؟

ذات يوم..

أصبح بعدها مَلكاً للغابة

فهل علم القوم بالأمر؟

كان يا مكان في سالف العصر والأوان، كان رجل اسمه جحا يرافقه حماره في كل مكان كان مؤنسه وصديقه الوفي كانا يقصدان الأسواق دائماً حتى وإن كان جحا لا يملك شيئا يبيعه أو حاجة يشتريها.

كان جحا رجلا حكيما معروفا في بلدته الصغيرة التي يعرف كل سكانها بعضهم البعض، لم يكن لجحا صديق مقرب أو مجلس يعتاده، كان يظهر للعامة أنه رجل أميّ أو مجنون لا يؤذي أحداً حتى أن بعضهم كان يحاول وضع جحا في ورطة من أجل الضحك عليه، لكنه في كل مرة بحنكته وحلمه وحكمته يخرج منها سالماً وهم يعتقدون أن ذلك بسبب الحظ.

جحا لم يكن قوي البنية ليعمل أعمالاً شاقة أو يحمل أثقالا، ولا غنياً يعمل في التجارة، ولا متحصلاً على شهادة ليكون موظفاً في الإدارة، كان جحا يعتمد على حماره كثيراً كأنه سيارة يتنقل بها أينما يشاء ويحمل عليه الأشياء الثقيلة كالمؤونة، السلع أو الخبز اليابس الذي يجمعه من المنازل والمزابل ومن هنا وهناك، والحمار لم يكن ليشتكي شيئاً.

كان جحا يتنقل بحماره إلى الأسواق والمدينة وإلى أماكن أخرى بعيدة، حتى أصبح مؤنسه الوحيد فطالما كان يحدثه كأنه صديقه المقرب، لكنه لم

يكن يستشيره في أموره الشخصية لأنه متأكد أن الحمار لن يتمكن من إيجاد حلول تناسبه وتساعده، غير أنه كان يرتاح للحديث معه وكأنه يتقاسم معه الهموم، كان جحا يجمع قوت يومه من بيع الخبز وجمع النفايات أحياناً أو يقصد السوق فيحمل سلع التجار على ظهر حماره ويأخذ أجراً زهيداً مقابل ذلك، كان قنوعا بذاك الفتات الذي لا يكفي أحدا ولا يلبي حاجيات العيش الكريم، وعندما كان الحال يضيق به، يتوجه إلى أطراف الغابة فيسترزق من فواكهها كالتوت البري، البلوط، الزعرور والأعشاب التي تستعمل كتيزانة كما نسميها بلهجتنا العامية والتي هي عبارة عن شاي أعشاب والعلاج الطبيعي البديل لأغلب الأمراض والعدوى الموسمية التي تزداد بكثرة في فصل الشتاء، فيقطف من شجر الكاليتوس أوراقه والسدر وأوراق التوت لمعالجة الزكام والسعال ثم يبيعها في السوق، والبعض ممن يعرفونه يذهبون إلى منزله إن لم يجدوه في المكان المعتاد ليطلبوا منه ما هو متوفر كالأعشاب الطبية والمأكولات التقليدية التي كانت زوجته تحضرها بالمنزل.

حين أحس جحا باقتراب الأجل، بدأ يفكر ملياً ببيع حماره، فلعله بعد موته يضـــمن له من يكفله ويأويه ولا يتركه وحيداً، فقد كان الوحيد الذي يعتني به ويهتم لأمره.

إن تذوقت طعم الغربة قد تحس ما يتذوقه اليتيم من مرارة وأسى لفقده احدى الأعمدة الرئيسية التي كان يستأنس بها،

يقول المثل الشعبي "ما يحس بالجمرة غير اللي كو اتو"

ما يحس بآلام الجمرة إلا ذاك الذي حرقته من قبل.

الغريب واليتيم كلاهما يجد نفسه تائهاً معظم الأوقات حتى ولو عُلم الطريق،

ذاك النُقصٌ لا يعوّض إلا برجوع المفقود وقد يكون مستحيلاً، فكيف يجبر الخاطر ويلتئم جرح القلب؟

بعد شـــهرين فقط من وفاة زوجة جحا ها هو لا يطيق فراقها ليلتحق بها ويلتقيها عند الرفيق الأعلى،

توفي جحا وبقي الحمار وحيداً دون قائد، دون صـــاحب، دون مؤنس، تغيّرت أمور كثيرة عليه، حزن بادي على وجهه فلم يكن يقوى على الأكل ولا على النوم من الحزن الشـــديد لفقدان أعز ما كان عنده، فلا يمكن تعويض مكانة جحا، وبما أن الحمار اعتاد الذهاب إلى سـوق البلدة كل خميس وحتى إلى بعض الأســـواق المجاورة مع جحا، فقد بقي على هذه الحال إلى أن جاء يوم ســـمع بخبر ذبح الحمير وبيع لحومها في الأســـواق على أنها لحوم البقر، فخاف ولجأ إلى الغابة القريبة من البلدة، في ذلك الوقت لم يكن على علم بقانون الغابة وطريقة العيش فيها فبقي على أطرافها يقتات على الحشـــائش والنفايات العضـــوية المرمية على حافة الطريق من طرف الإنســـان. بقي على ذلك الحال عدة أيام إلى أن التقى بحيوان القنفذ، لم يكن هذان الاثنان على معرفة ببعضـــهما البعض، فالقنفذ لم تتجاوز معرفته بالحمار حد السماع عنه فقط.

سأل القنفذ الحمار وهو متعجب ومتوجس منه خيفة:

- سـيدي من تكون؟ من أنت؟.. كان يتبعه تارة ويختبئ منه خلف الأشجار وبين الحشائش والأحجار تارة أخرى.

ليرد الحمار متعجبا: ألا تعرفني؟ أنا الحمار اسمي **بورورو**، وأنت؟

زال الخوف عن القنفذ واطمئن قلبه من لهجة الحمار التي لا تحمل أي شر، بالعكس تماما، فاقترب منه أكثر لأنه قد تأكد أنه لن يؤذيه، وقال:

- سـمعت عنك كثيراً، لكنني لم ألتقيك أبدا من قبل، هذه أول مرة أرى فيها حماراً، عفوا لم أعرّف بنفسي، أنا اسمي **سنيكا** أعيش هنا منذ ولادتي، أنا من عائلة كبيرة يقال أنّ جدي الخامس هو من أتى واستقر هنا.

الحمار بورورو: هذه أول مرة في حياتي أرى فيها هذا النوع من الحيوانات، شكلك مخيف هههه لكنك تبدو لطيفا، تشرفت بمعرفتك سيد **سنيكا**، أما أنا فكنت أعيش في البلدة المجاورة مع سـيدي **جحا** اشـتراني صـغيراً ورباني حتى كبرت ولكن للأسف توفي وتركني الآن وحيداً.

القنفذ سنيكا متعجبا: تركت المدينة وأتيت إلى هنا؟ كنت أظن أنك قادم من غابة **الرويغة** التي تبعد من هنا بضع كيلومترات، فهناك يعيش الحمير بكثرة لأن تلك الغابة تعتبر موطنهم الأصلي.

الحمار بورورو: آه حقاً، لم أكن أعلم أن هناك تعيش الحمير، هذه أول مرة أدخل فيها هذه الغابة، كنت أنا وجحا نعتاد الأسواق ونسافر بعيداً لكننا لم ندخل قلب الغابة، إنه العيش هنا أمر جديد عليّ، في الحقيقة ما جعلني آتي إلى هنا وأهاجر البلدة نهائياً هو حدث غريب جرى هناك حيث كنت أذهب دوما. لم أستوعب ما حدث بعد. فهل رأيت أو سمعت يوماً عن إنسان يأكل لحم الحمير؟

القنفذ سنيكا: ماذا؟ ألهذا الحد وصل الإنسان؟! أنصحك أن تعيش في الغابة، ابق معنا، فنحن بأمس الحاجة إليك، لن يضرك شيء هنا.

في هذه اللحظة مر الأرنب مسرعاً ولما رأى الحمار توقف فجأةً.

الأرنب متعجبا ومستغربا: ماذا؟ حمار، حمار، حمار هنا في غابتنا..

يسأله القنفذ مندهشاً: هل تعرفه؟!

الأرنب: نعم، نعم، إنه الحمار هههه يا إلهي، ...هل أتيت لحضـــور حفل أو وليمة؟ ما بك يا **روزي**، أهكذا نتحدث مع الضيوف؟

الأرنب روزي: أنا حقا آسف، أعتذر على ذلك.

تابع الحمار يقول: لا لا لم يســتدعني أحد، أتيت هارباً من البلدة، علني أجد مكاناً آمناً بالغابة.

الأرنب روزي متعجباً: كيف! كيف هذا؟ !

القنفذ ســنيكا: **روزي** ســأشــرح لك لاحقاً، دعنا نعرفه بالغابة ليختار فيها المكان الذي يناســبه للاســتقرار، ســيد بورورو هذا روزي صــديقي الأرنب تعرفت عليه بالصــدفة، هو أيضــا يعيش هنا مع عائلته منذ زمن بعيد، إنه خفيف الروح كما ترى، إنها عادته أن يمزح مع الجميع.

الحمار بورورو مازحا: إنه ســريع في الجري والكلام أيضــاً. هههههه، تشــرفنا سيد روزي.

الأرنب روزي: ولي الشرف أيضاً أنني التقيتك، سنكون أصدقاء.

الحمار بورورو: ســـنيكا كنت قد أخبرتني أنكم بأمس الحاجة إلي؟ هل هذا صحيح؟ بماذا يمكنني مساعدتكم إذا؟

ســـنيكا: نعم ســـيد بورورو، لكن دعنا نأخذك في جولة تعريفية بالغابة أولا وبعدها نتحدث في هذا الموضوع.

اقترّب الأرنب من القنفذ وسأله هامسا كي لا يسمعه الحمار.

- ماذا قلت للحمار؟ هل نحن بأمس الحاجة إليه؟ كيف ذلك؟

سنيكا: أششششش ستفهم لاحقاً.

مشـى بورورو رفقة روزي وســنيكا حتى وصــلوا إلى قلب الغابة التي تبدو كثيفة الأشــجار تتوســطها أرض مســتوية يقطعها الوادي، تزين أطرافه صخور متنوعة كبيرة وصغيرة تظهر كأنها سقطت يوماً ما من الجبل المقابل وتفتت حيث اختلفت أحجامها، كما تعرف الحمار أيضــاً على جميع زوايا الغابة وأماكن تواجد المياه وكيف يمكنه الحصــول على طعامه بمفرده دون مســاعدة، تعرف كذلك على الحيوانات الأليفة وحتى الخطيرة المتواجدة بالغابة والتي يجب عليه تفاديها والحذر منها.

أعجب الحمار بالغابة وما تزخر به من تنوع بيولوجي فهو لم يكن يتخيّلها بهذا الاتساع، اندهش لتعدد وكثرة الفرص فيها، هنا قرّر الحمار ألا يعود إلى

البلدة مجدداً وأن يستقر هنا وسط الحيوانات في هذه الغابة التي ستصبح ملجأ له ومكانه المفضل وسيلقى حتماً أصدقاء يعطوه قدراً كافيا من الاهتمام لهذا سيخدم الغابة والحيوانات متطوعاً.

كان يورورو يقول في قرارة نفسه: "لو كنت أعرف هذه الغابة وما بداخلها لكنت هربت من جحا منذ زمن بعيد، لقد كان يعاملني كالعبيد لا راحة عنده، الجوع سيد الوقت إضافة إلى ذلك العمل دون راحة أو توقف". حيوية ونشاط بورورو كانت تبدو كأنه قد تناول منشطات، الغابة التي وجد فيها ما لم يكن يتوقعه، جعلته يفكر بشكل جديد وسط محبطه الجديد الذي يلائمه تماماً،

- بصراحة يا أصدقاء لم أكن أتوقع أنني سأدخل الغابة يوماً ما وأعيش فيها، إن طبيعتها جذابة ومناظرها خلابة، المنازل والجحور بها ممتازة ومياهها جدّ عذبة.

سنيكا: الغابة جميلة في جميع الفصول، ولا بزال هناك الكثير من الأماكن التي ستعجب بها أكثر.

روزي: سـنريه البحيرة والشـلالات ونصـعد القمة، هناك يمكنك أن ترى كل الغابة ويمكنك أن ترى أيضـاً البلدة التي كنت تعيش فيها وغابة الرويغة المجاورة لنا.

الحمار بورورو: يسعدني ذلك كثيراً، أشكركم من أعماق قلبي.

بعد اكتشـــاف أمر بعض الجزارين في البلدة ممن كانوا يتاجرون بلحوم الحمير على أنها لحوم البقر، أغلقت محلاتهم و تمت محاكمتهم و أخذوا الجزاء العادل ألا وهو الســجن، ليس هذا كل ما حدث مؤخراً، بل هناك فوضى في زيادة أسعار الخضر والمواد الضرورية فبعض التجار أو بالأحرى أشباه التجار أصبحوا يحتكرون سلعاً ويبيعونها بأسعار خيالية بغية الربح الســريع، معظمهم لا يعرف قوانين وأحكام البيع والشــراء، حتى أصــبحت التجارة عشوائية لا تعتمد على قانون العرض والطلب ولا احترام الزبون كما كثر الغشــاشــون و المطففون، وفي أحد أزقة البلدة حُوّلت معظم الدكاكين الخاصة بالحرفيين الذين كانوا يعرضون منتوجاتهم التقليدية والحرفية إلى دكاكين خاصــة بالمأكولات التقليدية و المأكولات الســريعة، بعد أن كان الحرفيون يحافظون على الموروث الثقافي. ليس هذا فحســب حتى الكتاتيب والمكتبات لم تسلم من الغلق بل الكثير منها أُغلق لعدم اقبال الناس عليها،

أصــبحت تجارة الكتب والكراريس وبيع الحبر والأقلام تجارة فاشــلة، فقد آلت بعض المهن والحرف إلى الزوال والاندثار، كما أن معظم الحرفيين غيّروا مهنهم فـعُمَرْ الذي كان يعمل في ورشــة الســيراميك أصــبح يعمل حارســاً في احدى الحضــائر لكنه ظل متمســكا بحرفته التي شــب عليها، فكان في وقت

فراغه يصنع تحفاً فنية من السيراميك، يلونها بزخارف وألوان تعكس تراث المنطقة. كان لعمر صديق يزوره من أجل اقتناء أعماله وإعادة بيعها، ذات يوم، إذْ بهما جالسين يتجاذبا أطراف الحديث حتى قال عمر:

- دعني أحكي لك ما رأيت في منام البارحة إنها رؤيا كأنها أشبه بفيلم خيالي مرعب أتمنى أن يكون خيراً. رأيت فيما يرى النائم أن نهراً عظيماً حلت بمدينتنا مياهه، وقد كانت سوداء عكرة تبدو للناظر كأنها غاضبة، لم أرها من قبل كذلك أبدا، بدت كمياه قنوات الصرف الصحي بل كانت أكثر سواداً، أخذ هذا النهر يتجسد في شكل أمواج عاتية، بدأ جريانه من رأس الشارع العلوي ماراً من هنا إلى غاية نهاية الشارع السفلي، لم تكن هناك أمطار ولا رياح، الظلام فقط كان طاغيا على المنظر، كأن النهار قد هرب وأسدل ستاره، قمنا حينها بغلق دكاكيننا ودخلنا بيوتنا نتابع من على شرفات منازلنا وإذ بي أسمع في جهاز التلفزيون خطاب من طرف القائد الأعلى للقوات المسلحة السيد "قائد صالح" وهو يقول: "تجندوا يا أحباب الله تجندوا... إننا أمام عدو لا نعرفه، احذروا من عدوكم، اليوم يا أحباب الله سنكون كلنا جيشا واحدا يجب

علينا أن نقف وقفة رجل واحد للقضـــاء على هذا العدو الذي يتربص بنا. كلكم معني فإما النصر أو الشهادة."

وختمها بشعار تحفيزي: "...وطني وطني غالي الثمن لتعش حراً طول الزمن..."

أردف صديقه يقول:

- بصراحة هذه الرؤيا صعبة التفسير، تبدو كأنها كابوس، الله يبعد عنا شرها، إن شاء الله خير.
- إن شاء الله هذا ما أتمناه بالرغم من أن الرؤيا لا تبشّر بالخير.

عقدت الحيوانات في احدى الأيام اجتماعا اســتثنائيا طارئاً بعد تشــاور ســنيكا و روزي لإيجاد خليفة للأســد الذي مرت أكثر من ســنتين وهو طريح الفراش، ولا شيء يحصل سوى سوء حالته كل مرة، أصبحت تتدهور أكثر فأكثر، حتى أنه أضــحى لا يطيق الكلام، أراد الصــديقان القنفذ والأرنب أن يضعا الحمار مكانه كي يصبح ملك الغابة، فهو أكبرهم، وبما أنه صديقهم المقرب، دون شك سيضعهم على رأس احدى الوزارات.

كل التفكير أصــبح عن كيفية تقديم صــديقهما الجديد الحمار بورورو للحيوانات الأخرى واقناعهم بضــرورة إعطاءه الفرصــة لحكم الغابة عله يغيّرها للأفضــل، قاما أولاً بالحديث مع كل حيوان على حِدى وأقنعوهم بضرورة تنحية الملك، ووضع الحمار محله، لأن له خبرة كبيرة بعد أن عاش كل عمره في البلدة ما يجعله يعرف أســرارها وخباياها وطريقة التعامل مع الإنسان...

بدأت الحيوانات تجتمع وتأتي فرادا وجماعات في المكان الموعود، بعضهم متفائل ومتحمس، البعض الآخر متوتر و البعض خائف من وصــول الخبر للأسد فيثور عليهم و يحصل ما لا يُحمد عقباه، في تلك اللحظات المختلطة،

وصل الحمار بورورو مع سنيكا و روزي قد رافقهم الغراب **تيتي** بعد انضمامه إلى المجموعة وكونه من المقربين حين أقنعه الصديقان بضرورة انضمامه للفريق فتيتي كان يعرف كل صغيرة وكبيرة في الغابة ومطلع على أسرارها وما يدور فيها، هو طائر حر لم يكن ينتمي إلى مجموعة الحاكم الأسد سابقاً لكنه مستقبلا قد يمكن أن يكون بصمة ايجابية في مجموعة الحاكم المنتخب الجديد الحمار.

لم يكن بورورو يعلم شيئا عن فحوى الاجتماع الذي سينعقد في تلك الأثناء، كُلّف تيتي بافتتاح الجلسة وتنشيطها فبدأ بخطاب يدل على ضرورة حماية الغابة وإيجاد آليات وميكانيزمات تحفظها من الأيادي الخارجية وتعزيز المنظومة الأمنية واقتراح طرق بديلة تساعد على حل النزاعات للحيلولة دون تدخل الأطراف الخارجية خاصة الإنسان في شؤون الغابة وحماية الحيوان من الانقراض وكذا تفعيل الوسائل القانونية لحماية البيئة، كما نوه على ضرورة استخلاف الملك، مع التأكيد على ضرورة حصول ذلك في أقرب الآجال، أخذ يتكلم كثيراً عن مواقف الحمار وعن خبرته وتاريخه العظيم بالبلدة، كيفية تعامله مع الانسان من خلال مهاراته الشخصية المكتسبة من عند حجا الحكيم. ثم ترك الكلمة لسنيكا الذي

استطرد يحكي على التغيير العاجل والجذري الذي يستدعي تنصيب الحمار مكان الأسد في الحكم وتفعيل نظام جديد من خلال تحديث السياسة الداخلية وإصلاح المنظومات التي يعتمدها الحيوان في هذه الغابة إضافة إلى أهمية الدفع بعجلة التغيير وهذا كله لصالح الغابة ولفائدة الحيوانات وفقاً لمبادئ التنمية المستدامة من خلال تطبيق نهج جديد يجمع بين جميع الأطراف المؤثرة.

ذُهل الحمار بورورو مما كان يسمع لكنه كان كالأطرش في الزفة، لم يكن يفهم قصدهم وما يريدون بالضبط، وبعد أن قُدّمت له الكلمة قام بشكر الجميع على ثقتهم به، وأردف قائلا أن ليس لديه ما يضيف فوق الكلام الذي قالته الحيوانات، كان شديد الحياء لا يعرف الرد السلبي، كان يقول في نفسه: "ماذا سأخسر لعله الخير، فهو هكذا يأتي كما كان يقول جحا، وكلامهم حلو و رائع، لعلي أتعلم منهم أيضاً هذا الأسلوب الجيد في الكلام، ماذا سأخسر أيضاً إذا تكلمت بهذه الطريقة؟ فلا بد لي من رفع المستوى." استطرد الحمار في كلامه ونوه على المسؤولية الملقاة على عاتقه منبها أنها ستكون صعبة وأنه سيواجه بعض المتاعب في إدارة الغابة وتطبيق مبادئ النظام البيئي من خلال اتخاذ تدابير فعالة واشراك جميع الحيوانات في

أنشـــطة اتخاذ القرارات البيئية بشـــكل جماعي من أجل الحفاظ على الغابة للأجيال القادمة.

وفي الأخير طمأنه الأصـــدقاء أنه ســـيكون محاطاً بمســـتشـــارين ووزراء يســاعدوه في إيجاد حل لكل مشـكلة تواجهه في تنفيذ مهامه وأن كل صـعوبة ستهون بوجودهم إلى جانبه، عرضوا تعاونهم كلهم لوضع خطط استراتيجية للنهوض بالاقتصـاد وتطوير الغابة حفاظا على ثرواتها وتجسـيد برنامج الملك الجديد من أجل غابة جديدة.

لم يكن للحيوانـات اختيـار آخر غير التشـــبـث في هـذا الأمـل عـلَّ الملـك الجديد بورورو يســـترجع مكانة الغابة ويعطي للحيوانات قيمتهم، قد يكون مَنفذا يســـاعد الحيوانات على عيش حياة الرفاهية بمعناها الحقيقي، حتى الحمار بورورو لم يكن له الخيار أيضاً إلا القبول لأنه يريد أن يعيش في هذه الغابة. هكذا كان الجميع تقريبا أمام خيار واحد في ظل الضغوطات والحيرة.

في نهايـة الاجتمـاع اتفقـت الحيوانـات على اليوم الـذي ســـيعلن فيـه عن انتخاب الملك الجديد للغابة ويُنَصّب وفق مراسـيم وبروتوكولات خاصـة، مع تنظيم حفل كبير تحضره جميع الحيوانات المتواجدة بهذه الغابة.

حضور الثعبان **سوسان** الاجتماع خفية، جعله يركض إلى للأسد ملك الغابة ليخبره بما يدور حوله من خداع وعما تنوي الحيوانات فعله دون إذنه أو استشارته لأنهم يودون تنحيته عن ملكه، كان الثعبان سوسان من الحيوانات المقربة للملك والرأس المدبّر لعدة عمليات سطو كبرى للمؤونة والغنائم المتحصل عليها، نجح فيها تحت لواء ملك الغابة الأسبق، يطلق على سوسان حيوان المهمات القذرة كان قد لازم جميع الملوك الذين ترأسوا الغابة، كما أنه استطاع أن يبقى على رأس الوزارة عدة سنوات ولم يغيره الملك هذا نظرا لفطنته وذكاءه و خبرته، لكن بعد مرض الملك قل ظهوره وأصبح نادراً، كما أنه مازال يطمع في شفاء ملك الغابة الأسد.

في ذلك اليوم كُلّفت بعض الحيوانات بمراقبة عرين الأسد وتشديد حراسته حتى أنهم ألقوا القبض على الثعبان سوسان متخفياً وهو يحاول الدخول إلى بيت الأسد.

أُدخل سوسان إلى السجن في تلك الليلة في انتظار محاكمته وما سيصدر في حقه من حكم، وفي اليوم الموالي اجتمعت الحيوانات ورسّموا الحمار بورورو ملكاً للغابة كما قرّروا نفي الأسد وزوجته إلى غابة الرويغة، وفي

طريقهما قبل الوصول إلى الغابة توفي الأسد إثر سكتة قلبية، دفنته زوجته في نفس المكان وأكملت طريقها إلى تلك الغابة تحت أعين النسر **فوركا** الذي كلّف بمهمة المراقبة والتتبع حتى وصولهما الغابة المقصودة، في نهاية المطاف قررت اللبؤة العيش والاستقرار بمغارة وجدتها بطريقها داخل الغابة كانت تبدو مناسبة لها، فما عليها إلا أن تبدأ حياةً جديدة وتتأقلم مع كل الأوضاع لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

بعد حفل ترسيم الملك الجديد للغابة قام جلالة الملك بورورو بتنصيب وزراءه ومستشاريه الذين سيرافقونه في تجسيد مشاريعه المقترحة للنهوض بتطوير الغابة واسترجاع هيبتها، كما أنهم خرجوا بقرارات فرض على الجميع أن يلتزم بها و يجسدها حرفياً، على أن يلتقوا مرة كل أسبوع يعرضون تقاريرهم على الملك، أفكارهم، اقتراحاتهم ويقررون ما سيفعلون في المراحل القادمة، كان يحضر الاجتماع الأسبوعي كل من سنيكا، روزي، تيتي والنسر فوركا برئاسة جلالة الملك بورورو، هؤلاء الحيوانات الأربعة كان بيدهم أمر بقية الحيوانات بتطبيق تعليمات الملك بورورو وايصال كل ما يتعلق بالقوانين الجديدة و التعليمات التي تصدر من طرفه.

اختار الملك بورورو رفقة مساعديه نفس المكان الذي كان يجتمع فيه الأسد مع حاشيته والذي تطلق عليه حيوانات الغابة قصر الملك، كان ممنوعا على الحيوانات الاقتراب منه إلا إذا كان هناك كلام يلقيه الملك السابق، فالحيوانات تبقى في الأسفل حيث قصر الملك يعلوهم، فهو عبارة عن صخرة مسطحة مرتفعة على الأرض في آخرها كهف له مدخل صغير، واسع بالداخل يبدو كصالة بها غرفتين واحدة على اليمين والأخرى على اليسار، كانت احداهما مخصصة لينام فيها الأسد، أما الآن فهي للملك بورورو الذي أصبح يجتمع مع مجلسه بالصالة وعندما يريد أن يلقي الكلمة على حيوانات الغابة يقف في أعلى الصخرة كما كان يفعل الأسد تماماً.

هذا الكهف أو ما يسمى أيضاً بغار الجماعة له قيمة تاريخية كبيرة، فقد سكنه أناس ما قبل التاريخ وكان في العهد الروماني معبداً للإله **باكاكس**، حيث كان سكان مدينة **تيبيليس** يحجون إليه في فصل الربيع للتعبد والصلاة وتقديم القرابين، كما استعمله ثوار التحرير مخبئاً وملجئاً لهم وبعدها اختاره الأسد كمكان آمن و قصر له.

الملك بورورو: أرحب بالجميع في هذه الجلسة التي تجمعنا لشيء واحد ألا وهو التكاتف والتعاون من أجل فائدة الجميع.

الجميع يهتفون بصوت واحد: نعم سيدي، نحن هنا من أجل فائدة الجميع ومن أجل غابة جديدة.

الملك بورورو: يجب على كل واحد فيكم أن يقترح مشروعاً مفيداً لهذه الغابة.

الحيوانات: طلبات الملك لا تقبل غير السمع والطاعة سيدي، نحن في خدمتك وخدمة الغابة.

الأرنب يقول للقنفذ: أكره الواجبات المنزلية...

الملك بورورو: ماذا قلت؟ لم أسمعك.

روزي: قلت هل نحضّر المشاريع في المنزل أم هنا؟

الملك بورورو: لا يهم، المهم أن يكون مشروعاً ذو فائدة للجميع.

الغراب تيتي: نحن الخمسة سيدي؟

يضحك البقية..

الملك بورورو: ما المضحك في كلامه؟

تيتي: كنت أقصد يا سيدي، هل علينا أن نقترح مشروعاً واحداً كلنا معًا؟ نحن الخمسة؟

الملك بورورو: كل واحد فيكم يأتي بمشروع منفرد، أكره الإعادة والشرح، المهم... سنترك مناقشة المشاريع للجلسة القادمة، أما الآن أريد منكم أن تقترحوا عليّ خطة أخلق من خلالها مشاكلا بالبلدة كي يركّزوا مع مشاكلهم وينسوا الغابة؟

تيتي: تبدو فكرة جيّدة.

سنيكا: ليست الفكرة ما يهم، بل النتيجة، يجب أن نثبت أننا نحن الحيوانات أصحاب هذه الغابة ومالكيها.

روزي: نعم، الإنسان لديه مكان يعيش فيه، لكنه يستغل الحيوان والثروات الموجودة في الغابة، يجب أن نمنعه من دخولها.

الحمار: ماذا ترى أنت يا فوركا؟ نحتاج إلى رأيك، أظنك كنت نائماً.

فوركا: فلنجرب يا جلالة الملك الموقر، الفكرة تبدو جميلة..

بعد أسبوع قام الملك بورورو بتكليف الخنازير بمهمة التكسير وزرع الرعب في البلدة حيث قاموا بالانقسام إلى مجموعات واختاروا دخول البلدة ليلاً. تعددت العمليات حتى سبّبوا خسارة فادحة لسكان البلدة فقام الصيادون بحملة صيد، قُتل فيها الكثير من الخنازير البرّية مما أدى إلى اضعاف معنوياتهم، بقي الحال هكذا حتى أرسل أعيان المدينة طلباً مع أحد كلابهم للغابة من أجل التوقف عن أعمال التخريب والفساد فقررت الخنازير في اجتماع جمعها مع الملك بورورو بالتوقف عن أعمال الشغب والفساد وكان ذلك دون أية شروط.

بعدها بأسبوعين فقط أمر الملك بورورو بتكليف الجرذان بالدخول إلى البلدة والانتشار بأماكن تواجد المزابل والذهاب أيضاً لإفساد الزرع والمؤونة المخزنة بالمنازل و الحضائر الخاصة بها، نفذت العملية بنجاح وبعد الانتهاء منها أمر الملك بورورو بالتوقف عن الإفساد لكيلا يكتشف أمرهم، كأن الملك كان يريد أن يفرض قوانين الغابة على البلدة أيضاً والتحكم حتى في الإنسان لأن البلدة جزء لا يتجزأ من الغابة هذا ما كان يعتقده الحمار

بورورو، كان يقول دائماً للحيوانات جملته المشـــهورة ويكررها عليهم: لماذا لا يحكم الحيوان الإنســان و ينصــاع لأوامره؟ نعم بإمكاننا نحن الحيوانات أن نتحكم في الإنسان فنحن أقوى وأذكى منه..

على حافة الواد كانت تعيش السلحفاة **سيسا** المخضرمة، كانت على عِلْم بأسرار جميع الحيوانات كما أنها مسالمة لدرجة أنها كانت صديقة الجميع، التقت بالمعزة **نينا** البيضاء الجميلة والإوزة **فيفا** الشابة التي كان لها الفضل في استرجاع مكانة الإوز في الغابة وتعريفهن بحقوقهن. اجتمع هذا الثلاثي كالعادة في هذا المكان الذي اعتدن الجلوس فيه للنقاش والحديث حول الظروف المعيشية في الغابة وتبادل الأخبار الجديدة، هذه المرة كان لهن حديث خاص حول القوانين الجديدة المفروضة عليهن وما سيترتب عنها، لأنهن كن يدركن جيّداً العواقب والتداعيات السلبية الناتجة عن سياسة الملك الجديد.

المعزة نينا: ما بالكِ يا أيتها السلحفاة؟ تبدين حائرة وحزينة؟

السلحفاة سيسا: لا، لستُ حزينة لكنني أفكر ملياً في مصلحتنا وكيفية تخطي الأزمات القادمة، يجب علينا أن نكون حذرين ويقظين كل الوقت. أصبح الحمار بورورو مملاً بسبب التفاهات التي يملها علينا، يصدر قوانيناً ليست خاصة بالغابة ولا تناسبنا أبدًا.

الإوزة فيفا: حذار أن يسمعكِ أحد تتحدثين بهذه الطريقة، قولي جلالة الملك بورورو المبجل هههه، هاي، لدي اقتراح رائع... ما رأيكن نزوج الحمار؟ هههه... عله ينشغل عنا بزوجته...

المعزة نينا: يجب علينا أن نتقرب للملك، هكذا تكون لنا عنده كلمة ورأي، فلنذهب إليه ونعقد معه اجتماعاً ثم نقترح عليه مجموعة من الأفكار والقوانين التي تخدمنا جميعاً.

السلحفاة سيسا: فكرة جيّدة، أنا مع وجوب اقناع ملكنا بالزواج.

الإوزة فيفا: إذًا متى يمكننا الذهاب؟

السلحفاة سيسا: ماذا وراءنا؟ فلنذهب الآن، هيا

الإوزة فيفا: يبدو أنك متحمسة كثيراً هههه

المعزة نينا: ...على هذه الحال سنصل غداً هههه

الإوزة فيفا: بل بعد غد هههههه

السلحفاة سيسا: من قال ذلك؟ وصولنا يعتمد على سرعتك سيدتي المعزة، فأنا سأركب على ظهرك هههه، أرجوا ألا تمانعي.

بعد وصول نينا وفيفا والسلحفاة سيسا إلى مقر الملك بورورو، قابلهم حارسه الكلب **أوكتا** من فصيلة الدلماسي المزركش باللون الأبيض والأسود، انخرط مؤخراً ضمن فريق الملك حيث تم تكلّيفه بالأمن وحراسة الملك بورورو، لديه فريق مكوّن من أكثر من اثنى عشر كلباً من نفس الفصيلة مدربة تدريباً عسكريا محترفاً عالي الدقة.

الحيوانات الثلاثة: مرحباً

يرد أوكتا بلهجة صارمة: مرحباً، ماذا هناك؟ ماذا تردن؟

الجميع معا: نريد مقابلة الملك بورورو.

أوكتا: هل لديكن موعد معه؟

الجميع: لا، ليس لدينا موعد.

أوكتا: غير موجود، عودوا غداً.

الحيوانات بأصوات متداخلة:

نينا: كيف.. كيف نعود غداً؟ !

فيفا: كيف غير موجود؟ !

السلحفاة: نريد مقابلته لأمر ضروري وخاص..

الحمار بورورو لسنيكا: ماذا يجري عند الباب؟ أسمع حديث الحيوانات، اذهب وانظر ماذا هناك.

ذهب سنيكا مسرعاً: ماذا يجري؟ ماذا تريدون؟

الجميع: نريد مقابلة الملك بورورو، لكن هذا الحارس يطردنا.

الملك بورورو بصوت عالٍ ممزوج بنهيق: ماذا هناك؟.. ما الموضوع الذي أتى بكن إلى هنا؟

الجميع: أمر خاص يجب أن نتكلم فيه معكم سيادة الملك بورورو.

الملك بورورو: دعهن يدخلن، تعالين.. تعالين.. تفضلن.. دعونا نرى ما هناك؟

الجميع: لم يسمح لنا الحارس بالدخول وأمرنا بالعودة غداً..

الملك بورورو: أخبرنني ما وراءكن.

بدأت الحيوانات (فيفا، نينا، سيسا) ينظرن إلى أعين بعضهن البعض، وينظرن إلى الحيوانات المتواجدة في المجلس وكأنهن يلمحن أن الأمر سريّ للغاية ولا يجب أن يكون هناك حيوان آخر موجود معهن في القاعة، فقط المعني بالأمر ألا وهو جلالة الملك بورورو.

فهم روزي من نظرات الحيوانات ماذا يردن وقال: تردن منا الخروج إذا؟ هزت الحيوانات رأسها بالإيجاب. وأردف روزي يقول: هيا يا جماعة فلنخرج ونتركهن مع الملك.

خرجت جميع الحيوانات من القاعة الكبرى.. تاركين كلا من السلحفاة، المعزة والإوزة رفقة الملك.

الملك بورورو: ماذا تحملن في جعبتكن؟ لقد أخفتموني بكل هذا الاصرار على مقابلتي والسرية في الأمر، هيا تكلمن.

الجميع: أيها الملك بورورو لا نريد إلا خيراً، لدينا عدة أفكار ومشـاريع نود أن نشـاركها معكم ونطرحها عليكم، كما أن تفكيرنا ينصـب في مصـلحة الغابة، وفيك أيضاً جلالة الملك الموقر.

كان الحمار ينصت لهن ويهز رأسه يميناً شمالاً.

الملك بورورو: الله الله... ربي يجعل الجميع مثلكن، لا تطلن عليّ الحديث، اختصرن فليس لدي وقت، هيا..

الجميع: تعلم يا سـيدي الملك أن جميع الحيوانات في هذه الغابة لها عائلة وأولاد ما عداك يا سـيدي، قانون الغابة يسـتدعي أن يكون الملك متزوجاً.. فلو تزوجت سـتنجب أولاداً ليكونوا خلفاء من بعدك على هذا المنصـب ويصبح ولدك ملكاً للغابة، وبذلك يحيى اسمك طويلا ويخلد.

الملك بورورو: ماذا؟ هل تتمنين لي الموت لتنصبن ولدي مكاني؟

الجميع: لا لا يا سـيدي... لا تفهم قصـدنا هكذا، بل نود أن ننوه لفضـائل الزواج وأنت ملك للغابة وأعزب.. فهذا غير ممكن، قانون الغابة يفرض على الملك أن يكون متزوجاً لتشتد قوته بوجود أولاده.

الملك بورورو: لم أفكر في هذا من قبل.. مممم ... دعوني أفكر في الأمر...

الجميع: جلالة الملك هذا الأمر لا يحتاج إلى تفكير... بل يحتاج إلى أمر فوري، تأمر بعض الحيوانات أن يختاروا لك آتانا من الغابة المجاورة لتكون زوجة لك عندها تعيش حياة الملوك، فالآن أنت نصف ملك.

الملك بورورو: هكذا إذن! يعني أنا لست ملكاً؟

الجميع: نعم.. نعم.. جلالة الملك

الملك بورورو: لم أفكر في موضـــوع الزواج من قبل، إذا الآن لا تخبرن أحدا عما جئتن لأجله، وإن سألكم أحد، قولوا إنكن جئتن من أجل طلب تحسين وضـــعيتكن الاجتماعية وتوفير الحماية لكن من ذئاب غابة الرويغة. هيا انصرفن ..

الجميع: نشـــكرك جلالة الملك بورورو، نتمنى أن يكون لنا لقاء آخر معكم ســـيادة الملك، ونعدكم بمســـاندتكم في أي شـــيء، كما أننا نملك أفكارا تخدمكم وتخدم الغابة، فقط لا تبخل علينا من خيرك.

مرت ست سنوات على البلدة، رأوا فيها الويل، قحط، فوضى، فساد، فقر، هجرة الأدمغة، وغلاء في المعيشة، أمور كثيرة تغيّرت إلى الأسوأ، تلك الفترة كانت تذّكرهم بسنوات الجمر أو العشرية السوداء التي مرت بها تلك البلدة، لكن بطريقة أخرى وآفات جديدة فكل من عاش تلك المرحلة لم ينسى الرعب والمأساة اللذان يسكنان قلبه لغاية اللحظة، سنوات الفتنة تلك لا تعرف فيها من كان يقتل من ولا لماذا قتل، أما هذه السنوات هي سنوات كرنفال في دشرة، لعب ولهو وتفاخر بالأموال، وإدارات يسيرها أغبياء وأميّون يمتهنون الكذب ويتقنون السرقة فقط، سرقة الوقت، سرقة في الميزان، سرقة المناصب وسرقة حقوق الناس، شراكة مع مقاول، رشوة وتبذير للمال العام بكل الطرق والوسائل المتاحة...

زيارة للسوق قد تختصر لك كيفية تفكير الناس ونمط حياتهم بشكل عام، حتى ذهنياتهم وأسلوب معيشتهم.

ها هو رجل يبيع في السوق الشعبية أدوية مجهولة المصدر وأعشاب طبية وأناس حوله ينصتون لما يقوله، حسب قوله يداوي عدة أمراض بدواء واحد عبارة عن مرهم في علبة صغيرة متعدد الاستعمالات بإمكانه أن يشفيك من

أي علة. ينزع أسنانك دون مخدر وفي الحين لا يحتاج إلى كرسي طبيب الأسنان أو أدوات كثيرة ولا حتى إلى تعقيم، ذلك الكُلاّب الذي يستعمله كأداة وحيدة يفي بالغرض، ما إن تمر بجانبه حتى ترى جمهورا من الناس يحيطون به مجتمعين ومنصتين وحتى متطوعين فيا ترى من منهم المخطئ؟ إذا أردت التدخل وفضحه سيعتبرونك مشوشاً ومزعجاً لشخص يطلب رزقه بالحلال.

هو نفسه يبدع في ترويج وبيع الأدوية بالأسواق، ها هو يصطحب نعامة، يدخلها السوق الشعبي ليجتمع الناس حوله وهو يعرّفهم بهذا الطائر عن طريق ميكروفون ليُسمع صوته وسط الزحام والضجيج المعتاد في السوق، بدأت الحشود تنجذب وتلتف حوله وتتهافت على رؤية هذا الطائر الذي يرونه لأول مرة، محاولين معرفة فوائد تلك المادة السحرية البيضاء الموضوعة داخل زجاجة صغيرة، حسب قول ذاك التاجر أنها شحم النعام يعالج جميع أمراض العظام منها تقويم العمود الفقري المعوج كما كان يزعم.

تقدم شيخ من بين تلك الحشود يدّعي أن لديه ألم على مستوى الكتف أو ظهره فقام التاجر المزعوم بوضع تلك المادة ودلكها على مكان الألم، لم تمر دقائق حتى نهض "الشيخ المصاب" هو يقفز حامدا الله تارة وشاكرا تارة أخرى ليخرج مبلغا من المال لشراء عدة علب من المرهم العجيب، فتنهال الحشود على الرجل طالبين منه تلك الخلطة السحرية، ليقطع كل تلك

الأصـــوات ويعلن لهم عن بقاء 20 علبة فقط لا يبيعها إلا للحالات الحرجة والضرورية... فيتأسف الحضور الذين لم يلاحظوا أن الرجل أعرج.

غير بعيد عنه كان هناك شـــابين في العشـــرينيات من العمر يبيعان المنظفات بجميع الألوان وماء جافيل بأســـعار زهيدة، ينادون الناس بمكبر الصـــوت لجلب أكبر عدد من الزبائن يبدو أن حامل مكبر الصـــوت يتقن جيّدا أســـلوب الإقناع ربما قد درس تقنيات البيع والتســـويق. فإذا وقفت أمامه لحظة ستشتري منه عديد المنتجات المجموعة معا بشريط لاصق على أنها تباع بتخفيض وفرصة لا تعاد مرة أخرى.

أما في الزاوية المقابلة لهما هناك من يبيع شوكولاطة، في الأصل هي ليست بشـوكولاطة بل فيجيكاو يبيعها بسـعر بخس فمعظمها يُحتضـر، أقصـد أن مدة صلاحيته توشك على الانتهاء، لم تكن تلك سلعته الوحيدة بل كان لديه منتجات أخرى موضـــوعة على طاولته التي هي عبارة عن علب الكارتون الخاصـــة بفاكهة الموز، العديد من أنواع من البســـكويت المتراكمة والوافل الذي نسميه بلهجتنا المحرفة عن الفرنسية "قوفريط"

حتى الأطفال لهم مكان في الســـوق يســـترزقون منه ويعودون بأموال إلى أوليائهم، يبيعون الخبز التقليدي (المطلوع) يضعونها داخل قفف على الأرض

واقفين على خط طولي أمام الرصيف، يطلبون من كل المارة أن يشتروا منهم ولو خبزة واحدة، متمنيين أن يعودوا بالقفف فارغة متخلصين من الحمل الثقيل، كأن السبب الأول الذي يدفعهم للبيع هو ذلك التعب الذي سُلّط عليهم وأصبح حتمية وعبئ يسرق طفولتهم وبراءتهم، ما إن تمر أمامهم حتى تسمع: "يا عمي اشتري عليّ خبزة" جملة تجعلك ترأف بهم.

الكثير من سكان هذه البقعة الموحشة أصبحوا كالغرباء لا يملكون أي حقوق ولا عيشٌ كريم، طفولة محرومة وشباب ضائع.

فمنذ أيام قليلة فقط رحلت فتاة من هذه البلدة، كانت قد أمضت السنتين الأخيرتين من عمرها مقيمة في دار الرحمة التي أسست كملجأ لكبار السن ممن تخلى عنهم أولادهم بسبب الفقر أو مشاكل عائلية، يأخذونهم إلى هناك دون اهتمام بهم وكأنهم يتخلون عنهم، لكن قصة هذه الفتاة تختلف عن سكان الدار الآخرين، لم يكن أحد يعلم شيئا عن شخصها أو عائلتها، من أين أتت ولا من أي منطقة تنحدر، كل ما عُلم عن هذا الوجه البريء اسم "سمية" الذي التصق به اسم ثاني كان بمثابة لقبها: سمية -لا باس عليا- اسم تحصلت عليه من جوابها الدائم الذي كان كل ما يجود به

ثغرها حين تُسأل عن حالها من طرف الزوار والمقيمين، لكن لسانها كان لا يشكو حالا و لا يقول غير كلمة: "لا باس عليا". عاشت سمية أيامها بدار الرحمة مثابرة ومبادرة تخدم المسنين والعجزة الذين مضوا غرباء مثلها بعد أن تنكر لهم ذويهم تسهر على حاجتهم وتغمرهم بشيء كان من المفترض أنها مثلهم أحوج إليه فمن قال إن فاقد الشيء لا يعطيه؟ بل يعطيه وبكرم أيضا، هذا ما أثبتته سمية، شاء القدر لهذه الفتاة أن ترحل عن هذا العالم غريبة كما عاشت غريبة دون أهل أو أصحاب، لتخط قصة حزينة أخرى في سجل قصص وتاريخ هذه البلدة، حضر جنازتها جمع لم تظفر به جنائز أصحاب الجاه والنسب من قبل وشيّع جثمانها في جوّ جنائزيّ مهيب... رحم الله سمية ... التي انتقمت من الحياة والأحياء كما كُتب على شاهد قبرها "سمية لاباس عليا" والله لإنه أفخم اسم ثانٍ تقابله في حياتك على شاهد قبر وفوق التراب، لا يؤمن بالأحساب والأنساب، سمية قد نالت شرف الانسان الغريب الذي عبر ونثر بين البشر عطر بشريته وروحه... هي اليوم في دار الرحمة ودار الحق.

بدت علامات الرفاهية والبذخ تظهر على سـنيكا وروزي، فسـنيكا تغيرّت حياته ولم يعد ما كان من قبل، أضـحى يعيش حياة رغدة فوق الأرض بدلاً من تلك الجحور المظلمة المهترئة و المخيفة، صـار يملك منزلا واسـعا، يأكل من جميع الخيرات التي تنتجها الغابة، لم يحرم نفسه من شيء مستندا على منصـبه الجديد وقربه من الملك، كذلك روزي غيّر منزله الذي كان تحت الأرض على شكل أنفاق يسكنه رفقة عائلته الكبيرة انتقل حالياً لبيت جميل فوق الأرض، لم يعد لديه مشكلة في اقتناء الأكل فكل ما يشتهيه يحضر بين يديه بمجرد أمر، كيف لا وهما الآن من المقربين إلى الملك، فهما من بين وزراءه وأهمهم، يعتبران أسـيادًا للغابة، ينعمان بخيراتها و يأكلان ما لذ وطاب وما تشـتهي نفسـهما، أما صـديقهم الغراب تيتي فهو كذلك أصـبح ينعم من الخيرات بعدما عُيّن مستشاراً للملك، ينصح، يخطط ويملي عليه ما يقوله أثناء اجتماعاته بالحيوانات.

أراد الحمار بورورو عقد اجتماع طارئ يجمعهم كلهم، وها هو ذا يدخل إلى المجلس ناهقا، ممدداً أذنيه ونافخا منخره، كانت علامات الغضب بادية على وجهه، كان على وشك الانفجار.

الكل في استعداد: مرحباً جلالة الملك بورورو

الملك بورورو: اجلسوا مكانكم...

جمع الملك بورورو في هذا اللقاء السادة أعضاء المجلس الإداري، المتمثلين في كل من: تيتي، سـنيكا، روزي، فوركا، أوكتا، حيث أكد جلالته أن مثل هذه اللقاءات تُحاك من أجل وضـع خطة عمل وخارطة طريق واضـحة وفعالة توصلنا مباشـرة إلى الغاية المنشـودة ألا وهي تحقيق العيش الكريم للحيوان وتحقيق التطور لهذه الغابة، كما ألح جلالة الملك بورورو على ضـرورة مرافقة مسار التنمية المحلية بالغابة وضرورة تظافر جهود الجميع للنهوض بالتنمية على مسـتوى هذه الغابة، مبرزاً في ذات السـياق الأهمية الكبيرة للتنسـيق بين مختلف المصـالح المعنية من أجل خلق روح التعاون، الثقة وإشراك كل حيوان، الأمر الذي من شأنه أن يمنح دورًا إيجابيًا في تنفيذ هذه المشاريع، كما دعا السادة الحضور إلى ضرورة المتابعة الصارمة والسهر على السـير الحسـن لتنفيذ مختلف برامج التنمية المحلية، في الأخير لمّح وأكد جلالة الملك بورورو على الرفاهية التي برزت على روزي وسـنيكا وتيتي مؤخراً كما أكد على ضـرورة التخلي عن مثل هذه السـلوكيات محذرا إياهم من أن تلاحظ عليهم هذه الرفاهية من طرف الحيوانات الأخرى.

الكل: حاضر جلالة الملك، سمعًا وطاعة..

روزي: جلالة الملك، أود تنبيهكم لشيء واحد فقط وهو وجوب ظهورنا بشكل مميز عن باقي الحيوانات نحن كمسؤولين نشغل مناصب وزراء ومستشارين وذلك كله كي نشرفك ونكون في المستوى، لهذا لا تقلق بشأن ما نحن عليه ولا من التصرفات التي تصدر منا، أظن أن الحيوانات الأخرى تعلم ذلك أيضا، تعلم جيدا ما يعنيه وزير أو مستشار، ففخامة الاسم تكفي، لذلك لا داعي للقلق جلالة الملك بورورو.

الملك بورورو: لست أفهم هذا بعد !!، كل ما قلتَه ليس منطقي.

روزي: بل هو عين المنطق سيدي.

الملك بورورو: يجب أنْ أنبهكم على أنني أكره المشاكل التافهة.. هل تفهمون؟

أراد الحمار أن يغيّر الجو الرسمي وروتين الجلسة الذي بدأ يأخذ منحى متوتر بعض الشيء، فبدأ يحكي لهم نكتة، لكنها لم تكن مضحكة البتة.

سنيكا يقول لروزي دون أن يراه الملك بورورو: إضحك،.. فيبدآن بتصنع الضحك..

لم يكن تيتي وفوركا يضحكان فهما جديان كثيراً.

ليلتفت إليهما الملك بورورو: لمَ لا تضحكان؟

تيتي وفوركا بتوتر: لم نسـمع جيّداً ما قلتموه يا سـيادة الملك المبجل... نعتذر منك..

غيّرا مكانهما..

الملك بورورو: أين أنتما؟

تيتي وفوركا: نحن هنا يا جلالة الملك بورورو، لقد غيّرنا الغصــن فقد كاد ينكسر.

فوركا: من شدة الضحك هههههه.

صاح الملك بورورو بصوت عالٍ: انتبهوا إليّ جميعاً،.. ماذا تقترحون فيما يخص قضية الثعبان سوسان؟ لقد نسيناه في السجن هههه وتركناه وحيداً هههه

تيتي: يا سيدي يجب أن يحاكم وننهي قصته إما أن يُقتل، أو نكسبه لصفنا، نعطيه مهمة من النوع المحبب لديه، علنا نستفيد من خبرته فلا فائدة من سجنه.

فوركا: نعم أشاطرك الرأي تيتي.

أوكتا: وأنا كذلك، إنها فكرة جيّدة.

الملك بورورو: مممم نعم، إذن يجب أن يحاكم في أقرب وقت، لننظر ما نحن به فاعلين، أخرجوه مساءً إذاً وأحضروه إلى هنا... ويجب عليكم جميعا أن تحضروا.

أوكتا: حاضر جلالة الملك الموقر.

روزي، سنيكا، تيتي، فوركا: حاضر سيادة الملك بورورو.

في المساء وفي الوقت المعلوم قبل المغرب بساعة اجتمع مجلس الإدارة بالملك بورورو وبعد برهة أحضر أوكتا ومجموعته الثعبان سوسان.

الملك بورورو: أخرجوه من القفص.

سنيكا: قدم التحية لسيدك.

سوسان: مرحبا سيدي.

سنيكا: أهكذا تقدم التحية لمولانا جلالة الملك بورورو الموقر؟

فألقى سوسان التحية بصوت هادئ: أعتذر، مرحباً جلالة الملك بورورو الموقر.

فوركا: أعدها مرة أخرى بصوت مرتفع.

سوسان بصوت مرتفع: مرحباً جلالة الملك بورورو الموقر.

ترأس الملك بورورو المحاكمة، بعد إعتذار الثعبان سوسان وبكاءه تحت قدمي الحمار بورورو، قرّر وحلف على خدمته بالسمع والطاعة وأن لا يرد له طلبا أبدا، بل يقدم الأفضل دوما سعيا لنيل الرضا، تم إصدار الحكم بالبراءة وأُطلق سراحه فورا، وذلك بعد الاتفاق على أن يلتزم بتقديم ما يخدم الغابة وألا يخون الملك بورورو لأنه أصبح ضمن فريق العمل والناطق الرسمي لملك الغابة الحمار بورورو، وكذا متخصص في حل النزاعات القائمة بين الحيوانات، كما أنه بدأ يظهر قدراته من اليوم الأول فاقترح عليهم تخزين مؤونة الحيوانات، حيث كل فصيلة من الحيوانات عليها أن تقوم بتخزين ما يحتاجه و يتغذى عليه، تحسبا للأسوأ، فلا قدر الله قد تقع الغابة في أزمة، أو تنشب فيها الحرائق، لن نتضرر كثيرا لأننا سبق و أن جهزنا أنفسنا لمثل هذه الأزمات وأخذنا احتياطاتنا.

أعجب الملك بورورو بدهائه وحنكته واقتراحاته المقنعة التي قدمها مباشرة بعد النطق بالحكم وإصدار قرار انضمامه إلى فريق المجلس الإداري، فسوسان له حضور قوي وكلامه رصين، يتمتع بلغة خطابة جيّدة، عندما يتكلم يجعل الحاضرين ينصتون إليه بتمعن ويقتنعون بكلامه.

قد تتشابه الأيام فيما بينها حتى نعتقد أن لا مفر من هذه الرتابة.

ثم تأتي أسباب تقلّب الصفحات، تغيّر ملامح تلك الأيام،

فيتغير المنطق إلى اللامنطق و نبقى في انتظار ما قد يكشفه لنا القدر،..

لا نفرق أحياناً بين الأعداء والأصدقاء،

لكن قد يكون عدونا هو صديقنا في مرحلة ما نختارها بأنفسنا إلى أن تنتهي مدة صلاحيته يوماً ما..

في اليوم الموالي اســتدعى الملك بورورو الديك **روك** وممثلة الأبقار **دالي** إلى مقره صباحاً.

الملك بورورو غاضــباً يبدو عليه القلق ينهق أحياناً وأحياناً يحرك إحدى قدميه الخلفيتين وأذناه إلى الأعلى: ماذا قلت لكما؟.. ألم آمرك أن تعلم جميع الدجاج بالتوقف عن انتاج البيض؟ وأنتِ يا أيتها البقرة ألم أقل لك أن تُعلمي جميع البقر ألاّ ينتجوا الحليب للإنسان في هذه الفترة؟

الديك روك والبقرة دالي: بلى سيدي الملك بورورو، لقد فعلنا ما أمرتنا به.

الملك بورورو: لكني ســمعتُ ومن مصــادري الموثوقة أنهم لايزالون يبيعون الحليب والبيض. فكيف يحدث ذلك؟.. مســتحيل.. ألا يمكن لأحدكم أن يشرح لي من أين أتوا بهاتين المادتين؟

روك بلهجة متوترة: سيدي،.. سيدي أنا شخصياً كنت أراقب الدجاج وأؤكد لك أنَّ ولا واحدة منهن قد أنتجت البيض منذ شــهر كامل، حتى أنا تعجبت لذلك، ربما يا سيدي... يا سيدي أظن أنهم أتوا به من الغابة المجاورة، هذا ما يبدو لي، أو من احدى البلدات القريبة منا.

دالي: يا سيدي نحن أيضا امتنعنا عن اعطاء الحليب للإنسان، لا نعطيه إلا للبقرات المرضعات حتى يغذين العجول حديثة الولادة...

قاطعهم الملك بورورو غاضباً وصوت نهيقه الثائر يكاد يُسمع الغابة كلها: ستكون العقوبة قاسية لمن خالف أوامري، وأنا جاد جدا هذه المرة، يبدو أنْ لا أسلوب قد ينفع من غير القسوة.

في هذه الأثناء دخل الغراب تيتي مسرعاً، نزل إلى الأرض واقترب من الملك بورورو

تيتي: سيدي.. سيدي.. هناك أمر خطير يجب عليَّ اخبارك به..

الملك بورورو: أين كنت؟ قل ما عندك.. هيا بسرعة، أفصح...

تيتي: كنت في البلدة يا سيدي، رأيتهم.. رأيتهم .. شيء غريب يفعلونه..

الملك بورورو: غريب؟! ههههه لم ترى ما كنت أراه أنا يا تيتي، قل ولا تطل الكلام.

تيتي: أتيتك بخبر يقين، لقد زاد سعر الحليب وأصبح يباع فجراً ويشترطون عليهم شراءه مع علب الياغورت أو كيلو سكر أو لتر من الزيت، ويبيعون البيض أيضاً بسعر غالٍ.

الملك بورورو: من يأتيهم بهاتين المادتين؟

تيتي: بالنسبة للحليب يا سيدي فإنهم يشترون مادة مجففة، يخلطونها بالماء ويضعونها في أكياس على أساس أنها حليب، لكن الطامة الكبرى أنَّ الإنسان في تلك البلدة بالرغم من غلاء سعر البودرة بالماء إلَّا أنه يشتريها، رأيت طوابير لا تنتهي، أما البيض فهناك من كان يخبئه في مخازن والآن يغتنمون ندرته ويخرجون ما لديهم بكميات قليلة ليضغطوا على الناس.

الملك بورورو: شكراً تيتي على المعلومات المهمة.

ثم التفت إلى روك ودالي: من حسن حظكما أن الغراب وصل في هذا الوقت حاملا هذا الخبر، لولا ذلك لكنتما في خبر كان، انصرفا.. هيا..

بعد خروج الديك والبقرة، قال الحمار لتيتي: كيف بدوت؟ هل أعجبتك؟

تيتي: بالتأكيد يا جلالة الملك هكذا يجب أن تكون، صـــارماً، حازماً وتذكّر دائماً أن يكون صوتك هو الأعلى في المجلس، ارفعه قدر ما تستطيع.

الملك بورورو: هيا انصرف إلى عملك ودعني أفكر في أمر آخر.... نعم سأفكر.. أفكر في ماذا؟ سأبرمج اجتماعا طارئا.. نعم، هذه هي الفكرة، لكن ما موضوع الاجتماع؟ ...

اجتمع مجلس الإدارة مساءً بقاعة الاجتماعات فاقترح الملك بورورو وضع جدار حاجز لقطع الواد الذي يمر على الغابة وذلك من أجل احتكاره الاستفادة منه بشكل منفرد.

فقاطعه سنيكا: هذا غير ممكن سيدي..

الملك بورورو: غير ممكن؟! كيف ذلك؟.. إذا عليّ أن أضع الخطط عندما أكون لوحدي وأجد الوقت المناسب وأكون مرتاحاً غير قلقٍ، لأنني لا أريد أن أخطئ مرة ثانية.

يرفع الحمار بورورو صوته بكل جدية قائلا: أنا ملك الغابة بورورو لا يمكن أن أخطئ أو لا يقبل رأيي.

فلننهي الاجتماع ونلتقي غداً...

روزي: سيدي الملك ألست تكثر من الاجتماعات؟ عفواً .. أقصد نحن .. ألسنا نكثر من الاجتماعات؟

الملك بورورو: يا روزي أنا لست بنجامين ذلك الحمار الذي ينجز عمله ببطء ولا يتطوع لأعمال إضافية، لا يعبّر ولا يبدي رأياً حتى. أريد تحسين معيشة الحيوانات (قالها بصوت عالٍ).

روزي: حمار مثقف هههه

الملك بورورو: ماذا قلت؟ ما قصدك أيها الأرنب؟

روزي: أقصد أنك ملك مثقفاً يقرأ الكتب كثيراً، ونحن محظوظون بك.

الملك بورورو: بل جحا من كان يقرأ الكتب كثيراً، كنتُ أستمع له بينما يقرأ بصوت عالٍ واستفدت منه كثيراً، أما أنت يا روزي فلا زلت تتكلم كثيراً.

روزي: أعتذر يا جلالة الملك بورورو المبجل.

سنيكا: ألا تصمت قليلاً يا روزي، دعنا نستمع لآراء الملك العظيمة. ثم يهمس له بصوت منخفض: قل له نعم، وأن رأيه جيّد..

الملك بورورو: أنا ملك الغابة، بيدي القرار وكلمتي تعلو الجميع، فليبنى الجدار ولتقطع الأشجار، لا أريد أن يمر الواد لأي مكان.

الجميع: السمع والطاعة يا جلالة الملك بورورو المبجل.

الملك بورورو: علينا أن نجمع الحيوانات لاختيار الأقوى منهم، بعدها سنبدأ في العمل بأسرع وقت، أفضل أن يكون ذلك غدًا.

بعد برهة قال الملك بورورو: اقترب يا أوكتا، سأرسلك في مهمة خاصة إلى غابة الرويغة، حين تصل هناك، اقصد قبيلة الحمير، وأوصل لهم رسالتي.

تعجب الجميع من هذا القرار المفاجئ والغير متوقع.

فوركا: هلا تتريث يا جلالة الملك؟ دعنا نُنظم هذا الأمر ونعطيه القيمة والأهمية التي يستحقها، فهناك بروتوكولات يجب أن نقوم بها.

تيتي: أظن أن الواجب والأصح أن تذهب شخصياً يا جلالة الملك بورورو، وتأخذ معك هدايا تعكس قيمتك ومكانتك وهكذا نجعل الأمر أكثر رسمية.

سوسان: لم لا نذهب سوياً في وفد رسمي إلى تلك الغابة لنطلب يد أتان تناسب ملكنا الحمار بورورو الموقر.

الملك بورورو: فلنتحدث في الأمر لاحقاً، دعوني أفكر.

روزي: الأمر لا يحتاج إلى تفكير بل يحتاج إلى قرار حازم يا جلالة الملك بورورو.

الملك بورورو: إذا اتركوني أفكر في اتخاذ القرار. رفعت الجلسة.

بعد ثلاثة أيام فقط انتهى بناء سد للوادي ليتم احتكاره بشكل تام. عندها انطلق وفد رسمي مكوّن من: الملك بورورو شخصياً، رفقة وزراءه ومستشاريه: سنيكا، روزي، تيتي، فوركا، أوكتا وسوسان نحو غابة الرويغة من أجل تزويج الحمار بورورو لأن ذلك يعتبر حقه المشروع كملك، وقد قرر بورورو ذلك بعد أن ضمّن أن لا أحد من وزراءه يمكنه أن يقوم في غيابه بالانقلاب عليه.

بعد مسيرة طويلة وقبل الوصول إلى المكان المنشود كان التعب قد نال منهم، وأخذ بهم العطش أكثر من الجوع، لكنهم استمروا بالمسير إلى أن أصبحوا بالقرب من مكان بدا لهم كأنه بئر.

أوكتا: يا جماعة ربما نجد بعض الماء هنا، أظنه بئر. تيتي أو فوركا من يمكنهما أن يؤكدا ما إذا كان مملوء بالماء.

الملك بورورو: هذا ليس ببئر يا جماعة بل هو ضريح كوينتوس لوليوس أوربيكوس.

سنيكا باندهاش: كيف عرفت هذا يا جلالة الملك؟! ومن يكون هذا لوس بربيكيوس؟

الملك بورورو: إسمه كوينتوس لوليوس أوربيكوس، إنه شخصية عظيمة. مررت ذات مرة أنا وجحا في ذاك الطريق، عندها أشار لهذا الضريح وقال لي أنه من بناه، كوينتوس لوليوس أوربيكوس كان رجلاً حاكماً عسكرياً بربرياً نوميدياً وكان عضواً في مجلس الشيوخ الروماني وقاضياً عسكرياً ذكره التاريخ وكتب عنه الكثير من المؤرخين، حكم بريطانيا الرومانية في القرن الثاني وأنهى مسيرته بحكم روما الإيطالية.

روزي: ألم أقل إنك حمار مثقف..

الملك بورورو: هذه المعلومات رسخت في ذهني لأن جحا كان يرددها عليّ، كنا كلما زرنا منطقة أو مررنا بها إلا ويخبرني بمعلومات عنها، يكررها علّى مسامعي كلما مررنا بذات المكان مرة أخرى.. فمن منكم يعرف الإمبراطور مكرينوس؟ من يعرف لوسيوس الفينوس سنيسيو؟

سوسان: أنا يا جلالة الملك بورورو الموقر، مكرينوس ينحدر من مدينة اسمها شرشال ولوسيوس الفينوس سنيسيو من مدينة سطيف.

الملك بورورو: أحسنت، هذا صحيح.. هل كنت تقرأ كتب التاريخ؟

سوسان: في قبيلتي التي أنتمي لها كان يعيش ثعبان مخضرم، من أكبر الثعابين على وجه الأرض يعتبره الجميع شيخ القبيلة، كان يفصل في القضايا الكبرى كالطلاق، الزواج والمنازعات، لأنه كان حكيماً ملماً بكثير من الأمور الاجتماعية، السياسية والثقافية، كان يجمعنا حوله و يحكي لنا عن روايات وأساطير أبطالها شخصيات حكمت الأرض، ملوك، علماء و أبطال حرب، كان منهم الكثير ممن ماتوا بسُمّنا من فلاسفة أمثال سقراط و الملكة المصرية كليوباترا، للأسف كان سُمّنا داء و سلاح فتاك يُقتل به الملوك

والشخصيات الكبرى ما إنْ يوضع في طعامهم أو شرابهم، لكن الأقلية فقط من كانت تجتهد لتحويل سمنا لدواء.

بينما هم على هذا الحال يتبادلون ثقافاتهم ومعلومات عن التاريخ، إذْ بهم يصلون إلى واد بغابة الرويغة منهكين من التعب والعطش، لم يكن الواد مليئاً بالماء بل كان شبه جاف، شربوا منه حتى ارتووا واغتسلوا، من حسن حظهم أنْ التقوا بالنحل الذي كان يضع بيوته قريباً من الواد فطلبوا من ملكة النحل أن تزودهم بشيء من العسل حسب قدرتها، لم تبخل عليهم لأنها اعتبرتهم ضيوفاً عندها وأكرمتهم، وبدورهم استدعوها إلى غابتهم في حال أرادت توسيع مملكتها وبناء بيوت لها هناك لانتاج العسل.

ارتاح الوفد من التعب الذي نالهم من وعرة الطريق وصعوبته منهم من نام سويعة علها تزيل عنه مشقة الرحلة، أرسلوا بعدها فوركا للاستطلاع حول مكان تواجد الحمير، لم يطل الغياب بل عاد بعد دقائق معدودة، أخبرهم أنهم ليسوا ببعيدين عن منطقة الحمير، وبعد التشاور قرروا استكمال المسير حتى وصلوا إلى المكان المنشود، ما إنْ تقدموا نحوهم حتى تعجبت منهم مجموعة الحمير، كانت علامات التعجب بادية على وجوههم

من غرابة خليط الحيوانات التي ترافق بعضها البعض بشكل ودي ومنظم، نادوا رئيسهم الذي راح يتقدمهم معلنا أنه المسؤول عنهم فتقدم إليه الحمار بورورو بدوره مقدّما نفسه على أنه ملك الغابة المجاورة و رئيس الوفد، تعجبت الحمير وضحكت باستهزاءً، كيف لحمار مثلهم أنْ يكون ملكاً وحاكماً لغابة كان ملكها الأسد؟ كيف لحمار أن يقود وفداً من مختلف الحيوانات؟ لم يحدث هذا أبدا في تاريخ الحيوانات، أي حكمة أو ذكاء أو قوة يمتلكها هذا الحمار.. تساؤلات كثيرة تتخللها ضحكات استهزاء وتهامس بسخرية من طرف جميع الحمير الحاضرة بهذا المجلس، إلى أنْ أسكتهم رئيس الحمير: دعونا نفهم المزيد منه، ما الذي أتى بكم إلى هنا؟

هل أنتم بحاجة إلى مؤونة؟ أو دعم لبناء قصر الملك؟ فنحن ذوي بأس شديد وقوة تحمّل كما لدينا خبرة كبيرة في مجال البناء ونقل السلع...

تضحك مجموعة الحمير باستهزاء..

الحمار بورورو: كيف تجرؤون على الاستهزاء بنا؟! ألا يمكننا الحديث بجدية؟

قاطعه سـوسـان: لا هذا ولا ذاك يا أيها الحمار، لم نأتِ من أجل أي أمر مما ذكرت، جئنا لأمر ربما يجعل علاقاتنا مع بعض تتوطد أكثر، فملك غابتنا من سلالتكم، ومن المفروض أن تفتخروا به، فقد أتى أمرا يدعو للفخر ورفع الرأس، نحن الحيوانات من فوضناه وبايعناه ليكون ملكاً علينا بحكم خبرته. وكان ذلك بالإجماع.

رئيس الحمير: لحد الساعة لم تفصحوا عن سبب قدومكم إلى هنا..

سـوسـان: لم تتركوا لنا الفرصـة للحديث يا سـيدي، لقد حولتم الأمر كله لمجرد سخرية ولم تقدروا أننا ضيوفكم.

رئيس الحمير: يا سـيدي!! ...هل سـمعتم ما قاله هذا الثعبان لي؟ هههه... يا سيدي.. هههه

تنفجر الحمير بالضحك والقهقهة مع النهيق.

سوسان: هل انتهيتم من الضحك؟ .. دعونا نتكلم بجدية الآن..

رئيس الحمير: بصـراحة سـبب ضـحكنا هو كلمة "سـيدي" التي ناديتني بها، حتى الحمير هنا لا تناديني بها، تبدو غريبة عنا، المهم.. ما الذي جعلكم

تُنصّبون هذا الحمار ملكاً لغابتكم؟ لم نكن نعلم أن في تلك الغابة يوجد حمير؟

سوسان: في غابتنا هناك حمار واحد فقط، هو جلالة الملك بورورو الموقر، الذي يقف أمامكم، بحكم خبرته مع الإنسان وعيشه لمدة طويلة في البلدة نصبناه ملكاً لغابتنا لأننا نعلم، بل نوقن أنه سيفيدنا في التغلب على الإنسان الذي طالما أفسد غابتنا بقطع الأشجار وقتل الحيوانات عشوائياً دون أن ننسى رمي الأوساخ وافتعال الحرائق في غابتنا ما تسبب عديد المرات في ابادة ثرواتنا والعديد من الحيوانات أيضا، هم لا يعرفون قيمة الغابة ولا قيمة الحيوانات.. أما السبب الذي جعلنا نقصدكم سيدي هو أننا نريد تزويج ملكنا ولن نجد أفضل منكم لنختار آتانا منكم.

رئيس الحمير: هل كان حماركم أقصد ملككم يعيش بالبلدة؟!! كيف لنا أن نزوجه منا وهو لا ينتمي لقبيلتنا، نحن لا نتزوج من غير قبيلتنا ولا نزوج إناثنا لخارج القبيلة أيضا، هذا عرفنا؟

الحمار بورورو: قيل لي أن جحا أخذني من هذه الغابة لما كنت صغيراً ورباني عنده ولما توفي رحلتُ إلى الغابة التي أحكمها الآن.

رئيس الحمير: أنت محظوظ أيها الحمار..، لكن ما الدليل الذي يثبت أن أصـــلك من قبيلتنا؟ هناك الكثير من حمير غابتنا غادروها منذ زمن ولكل أســـبابه. لا يمكننا تزويجك منا إلا إذا أقنعتنا بدليل أو أتيت بشـــاهدين من الإنسان.

الحمار بورورو: يعني أن هذا الأمر منتهي النقاش؟

رئيس الحمير: تكلمنا وانتهى الحديث، أظن أن شـــرطنا بســـيط ولن نتراجع عنه أو نغيره...

إذا أردتم المبيت في غابتنا فمرحباً بكم، وإذا أردتم المغادرة فالشـــمس مالت نحو مغربها وهو موعد خروج الحيوانات المفترسة فاحذروا منها.

سوسان: نشكرك سيدي، دعنا نتشاور فيما بيننا ونعلمك بعد برهة.

ابتعدت الحيوانات عن مجلس الحمير وأخذت تتشـــاور فيما بينها، في الأخير قرروا المغادرة علهم يصلون صباحاً إلى غابتهم.. في طريقهم بدأوا يفكرون في حلول وطرق مجدية علها تفرح ملكهم، لكن علامات اليأس قد ظهرت على الجميع ما عدا الملك بورورو الذي بقي متشبثاً في أمل وحيد.

تيتي: سيدي هل لديك دليل لتثبت لهم أن أصلك من هذه الغابة؟

الملك بوروروا: لست أدري ما العمل، هناك ورقة موجودة في الصندوق لعلها تثبت ذلك لكن من يقرأها؟ الحيوانات لا تفقه القراءة، وإلا فعلي احضار شخصين من البلدة، لكن كيف؟ ومن!! .. شرطهم ليس سهلاً.. شرطهم شبه تعجيزي..

استاء الكلب أوكتا الذي قرر تغيير أسلوبه بعد أن فشلوا في إيجاد حل سلمي: جلالة الملك بوروروا ارجو ألا تقلق بهذا الشأن ستتزوج منهم سواء تحقق شرطهم أم لا، إذا اقتضى الأمر سنستعمل القوة ونحضر لك زوجة من هناك رغما عن أنوفهم، لدي كلاب مدربة لمثل هذه الظروف، أنتظر منك فقط الإشارة لأقوم بواجبي.

سنيكا: لا تقلق يا سيدي بوروروا، سنجعل هذا الأمر سهلاً.. ونحتفل بزفافك قريباً.

فوركا: هذه الحمير ليست مثل التي كانت تجلب السلاح للثوار من الحدود وتساهم في دعم الثورة واستقلال الإنسان صاحب الأرض، هذه الحمير أصبحت الآن تجلب السم للإنسان كالمخدرات، تساهم في إنهاك الاقتصاد الوطني حيث تتعاون مع الأعداء في تهريب السلع كالمأكولات والتمور وكل ما

لذ وطاب إلى دول أخرى، لهذا يا جماعة فإن هذه الحمير لا تعرف السِّــلْم ولن تنفع معها لغة الحوار.

الملك بورورو: شــكراً لكم جميعاً لـدعمكم.. لنـذهـب من هنـا الآن ونعجـل بالوصـول لغابتنا، حينها سـندرس الأمر، أظن أننا سـنجد حلاً مناسـباً عندما نرتاح.

اســتمرت الحيوانات بالمشــي ليلاً وقد أنهكها التعب، عند بزوغ الفجر وضــمانهم عدم خروج الحيوانات المفترســة قرروا أن يرتاحوا بعض الوقت ليكملوا طريقهم نحو غابتهم.

اشتقنا للحقيقة

اشتقنا للحب، للسلام لتلك النظرات الرقيقة

اشتقنا للم شمل هذه البلدة وتلك المدينة

اشتقنا للعب الأطفال في تلك الحديقة

لم يعد هناك رمز أو رائحة توحي بوجود حياة سعيدة

فلتكن هناك انتفاضة سلمية.

بدأ الناس يتجمعون في مكان واحد، هناك عند مدخل البلدة كانوا يتوافدون أفواجاً أفواج، من كل حدب وصوبٍ... هدفهم واحد هو الاجتماع بأكبر عدد ممكن من الناس في البلدة، يحملون هدفا ورؤيا تتمثل في التغيير الشامل للنظام وتنحية جميع المسؤولين، تغيير سلمي دون حرق أو تكسير، تغيير بطريقة حضارية شعارهم فيها: سلمية.. سلمية.. شعارات أخرى: "يتغيروا قاع..، سلمية سلمية... مع الوحدة الوطنية، يا للعار يا للعار... البلدة بدون قرار، بركات بركات.. من نظام العصابات،"

عدد هائل من الكبار والصغار، نساء ورجال خرجوا للشوارع في مشهد لم تشهده أي مسيرة من قبل في هذه البلدة، هذا الشعب الذي أصابه الملل واليأس من الظروف التي آلت إليها البلدة بسبب المسؤولين المفسدين، حلمه البسيط أن يرى ويعيش الرفاهية في بلدته ويحظى بالأمان فيأخذ حقوقه دون عناء.

استمر الحال هكذا لمدة أسبوع حتى جاء قرار الانتخابات العاجلة والاستثنائية لتغيير رئيس البلدة واختيار رئيس جديد لها في عهدة جديدة، تقدم عدة مترشحين بملفاتهم إلى مقر الهيئة المستقلة للانتخابات وكان ذلك

طيلة خمسة عشر يوماً، قامت فيها الهيئة بدراسة ملفاتهم وتصفية الذين يحملون المواصفات ويطابقون الشروط ليتم انتخاب أحدهم.

المتمعن في ملفات المرشحين يمكنه ملاحظة أن معظمهم شباب، باعتبار أن قانون الانتخابات المعدّل الذي منح فرصة للشباب للترشح في مناصفة القائمة لأقل من أربعين سنة، جعل طموح الشباب في الترشح للانتخابات التشريعية يعلو ليكون طموح تغيير الواقع المعاش إلى الأحسن أو بالأحرى تغيير حالة الشخص نفسه و هو ضمان للكسب المادي في ظل البطالة، الشباب الطامع للترشح لم يفهم بأن المراد من المساهمة في التغيير هو التغيير للواقع المعاش في البلدة بأكملها وبذل مجهود لتقديم الأفضل والدخول لمعترك الانتخابات يكون بعد نضال سياسي وتكوين في الشخصية والتنمية الذاتية ليصبح المترشح قائداً مثالياً بإمكانه تسيير مؤسسات بلدته بطريقة رشيدة، الأمر ليس بالسهل كما يظن الكثير من عامة الناس لأن الطريق ليست سهلة بل هي مليئة بالمنعرجات، الانحدارات، المعيقات والعراقيل، تحتاج من القائد صبرا طويلا و إرادة حديدية، أو كما نقول بلهجتنا "قلب حار" إضافة إلى الرغبة الجامحة في التغيير إلى الأفضل. أخيرا انتقت الهيئة أربعة أشخاص فقط ممن كانت ملفاتهم كاملة.

القائمة لم تكن بالطويلة نظراً لعدم تقديم ملفات كثيرة ومعظم من قدم الملف كان ناقصاً فقبلت ملفات الأشخاص الآتية أسماءهم:

زناتي سرحان: هو ذلك الشخص الذي يبيع الدواء في الأسواق، يقتلع الأسنان ويمتهن الحجامة في جميع الأوقات، لم يتحصل على شهادة أو سجل تجاري يخوّل له ممارسة هذه المهنة، فقط لديه أسلوب اقناع ومهارة جيّدة في التسويق، لا يهاب لجنات المراقبة أبدا، زناتي يبلغ من العمر 45 سنة متزوج وأب لأربعة أولاد ذكور، مستواه الدراسي لم يتجاوز السنة السادسة إبتدائي.

سبيعي مقداد: شخص أميّ لا يتقن القراءة ولا يحسن الكتابة، يرتدي بذلات رسمية دائماً، يدّعي أنه يريد التغيير ويسعى له لكنه لم يغيّر حتى نفسه إلى الأفضل والأحسن، تكتشف ببساطة من خلال كلامه مستواه اللغوي وحتى تفكيره، خاصة عندما يمزج حديثه باللغة الفرنسية وكلمات عربية مع الدارجة إنها طامة كبرى، نصحه الأصدقاء في المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه أن يترشح لأن منصب رئيس البلدة مناسب له فبإمكانه أن

يضـيف الكثير للبلدة، سـبيعي يقارب العقد السـادس من العمر لكنه يصاحب الشباب.

مسـتور سـعيد: رئيس جمعية خيرية، قام بعدة نشـاطات خيرية من بينها توزيع قفف الإعانات على المحتاجين والأرامل والفقراء، لم يكن ينسـى أن يبدأ بنفسـه وبالمسـؤولين، كما أنه كان يوزع الملابس والأفرشـة في فصـل الشـتاء، يقصـد مع جماعته دار الأيتام ودور العجزة لتقديم المسـاعدة، كان مقرباً جداً من المسـؤولين وأصـحاب المال، يبلغ الأربعين من العمر، قصـير القامة، نحيف الجسـم، سـريع المشي رقيق الصـوت، مطلقاً لحيته في معظم الأحيان، غالبا ما يرتدي قميصـاً أبيضـاً طويلاً يبدو كالأشـخاص الملتزمين بتطبيق تعاليم الدين الإسـلامي، كان يظن أن لديه شـعبية كبيرة قد تسـهل وتضمن له أن يصبح رئيسا للبلدة أو على الأقل أن يشغل منصباً في مجلسها.

بختة عيشـوبة: عاملة نظافة في مؤسـسـة اسـتشـفائية، كانت دائما تقضي حوائج الناس مقابل أجر غير ثابت كل مرة، بالخصـوص النسـاء الحوامل اللائي يلدن غالبا في تلك المسـتشـفى، كانت تبدو لمن لا يعرفها ممرضـة أو طبيبة نظراً لارتدائها الدائم لمئزر أبيض، كل مسـاء عند إنتهاء الدوام تخرج

حاملة قففا ممتلئة، كأنها كانت تتسوق من مركز تجاري أو سوق، تتبضع بما يبدو أنه كاف لأسبوع أو شهر كامل من الوجبات التي حُضّرت في الغداء أو العشاء للمرضى و عمال المشفى، بختة تبلغ من العمر 56 سنة، كما تتخيلها الآن بدينة الجسم، متوسطة القامة، صوتها يُسمع من بعيد لشدة حدته، يعرفها الجميع، احتكاكها مع المسؤولين وموظفي البلدة جعلها هي أيضاً تطمع بتغيير وضعها الاجتماعي.

في انتظار ما ستكشف عنه الصناديق، من يا ترى سيكون رئيساً للبلدة؟ من القائد الذي سيسير بها إلى بر الأمان ويجمع شمل أبنائها؟ الآمال كلها معلقة على صاحب المركز الأول.

بعد أن سمعت الحيوانات بالانتخابات التشريعية ورأت تلك الوجوه على قائمة المرشحين أرادوا أن يرشحوا هم أيضاً ممثلهم، اختاروا الحمار بورورو دون علمه صنعوا لافتة اشهارية وعلقوها ليلاً بجانب القوائم الانتخابية في جميع الأماكن المخصصة للإشهار كما وزعوا قصاصات صغيرة تحمل صورة الحمار بورورو، تعرّف سكان البلدة على حمار جحا ما إنْ رأوا صورته، ذاك

الحمار الذي كان يعيش معه، يقصدان الأسواق دائماً، ولا يخرج إلا معه. عندها صار الحمار حديث العام والخاص.

حان اليوم المنتظر، موعد الانتخاب، خرج المنتخبون من الشعب إلى صناديق الاقتراع من أجل انتخاب من يرغبون به ممثلا لهم من المترشحين الأربع، بعد انتهاء العملية وإغلاق التصويت حان وقت عملية فرز الأصوات التي بدأت من الساعة الثامنة ليلاً، فُتحت الصناديق وبدأ عد الأصوات، أول الأوراق التي ظهرت كان عليها صورة الحمار بورورو. في البداية بدا الأمر مضحكاً جعل الهيئة المستقلة للانتخابات تعتبره طرفة ساخرة وسط الانتظار الذي تحمله أجواء الفرز وكذلك جميع الموظفين و المكلفين بالعملية إن تحول الأمر لجدية تامة، فقد تبين أن المترشح الحمار بورورو نال عددا من الأصوات أكثر من كل المترشحين على مستوى جميع مراكز الاقتراع، كيف سيتصرفون في مثل هذه الظروف؟...

****

كانت الحيوانات تسير نحو الغابة، يتبادلون أطراف الحديث، يضحكون ويلعبون، فجأة خيّم صمت تام عليهم وأصابهم الذهول من هول ما رأوا،

دخان كثيف وآثار النيران المشـــتعلة بعدة نقاط في غابتهم، أول ما تبادر إلى أذهانهم أن الإنسان وراء ذلك، فهو العدو الأول لهم وللغابة،

عند وصولهم وجدوا الحيوانات قد انقسموا إلى فرق من أجل إطفاء النيران المشتعلة هنا وهناك تفاجؤوا أنَّ الإنسان قد هبَّ من البلدة ليطفئ الحريق، كانوا هم الآخرين منقســمين لعدة فرق، متعاونين فيما بينهم بعضــهم يأتي بصــهاريج مياه من البلدة وبعضــهم يملأها من الوادي والبعض الآخر يطفئ وينقذ الحيوانات بوسائله الخاصة، أما الحيوانات فقد انطلق النسر فوركا يحلق في السـماء لمراقبة الوضـع وذلك لمسـاعدة أصـدقاءه على التمركز في الأماكن المناسـبة التي تسـاعدهم على إطفاء النيران بكل أمان، في تلك الفترة بينما كان يحلق عالياً رأى طيوراً تشعل النار تحمل أغصاناً مشتعلة و ترميها في مختلف الأماكن فتأكد أنَّ طائر الحِدْأة وراء الحرائق، حينها جند مجموعة من النسـور ليتولوا عملية القبض عليهم الواحد تلو الآخر حتى قبضـوا على 11 (إحدى عشــر) طائراً ألزموهم بالتوقف وأنزلوهم إلى الأرض، كُلّف فوركا وجماعته بحراسـتهم داخل سـجن صـغير و بعد تحقيقات معهم تمت خلال تلك الأمســية تبيّن أنهم من تســبب بهذا الحريق المهول، لكنهم حاولوا تبرئة أنفســهم باتهامهم الإنســان كذبا و بهتانا و ظلوا يتنكرون لفعلتهم بالادعاء

أنهم كانوا يقومون بمساعدة بقية الحيوانات على اخماد النيران، لكن النسر فوركا ضغط عليهم بالأدلة القاطعة التي تثبت تورطهم في قضية الحريق، في الحقيقة كان هناك مجموعة من الشباب يقومون بالتخييم في أحد أركان الغابة، وعندما أنهوا جلسة الشواء ظلت شعلة صغيرة من النار متقدة، فاستغل طائر الجِدأة هذه الفرصة وبدأ في اشعال الغابة.

تطلّب الأمر لإخماد الحرائق أربعة أيامًا كاملة بمساعدة الإنسان، كما أن الحيوانات دون استثناء أظهرت حماساً منقطع النظير لإطفاء الغابة وإنقاذ الحيوانات العالقة في وسط النيران، لكن مع الأسف فقدت الغابة عدداً كبيراً من الحيوانات وخسرت عدة أنواع من النباتات والأشجار المثمرة وأشجار أخرى متنوعة.

قررت الحيوانات بعد جلسة الحكم على طائر الجِدْأة عقوبة قاسية في حقهم، تم ايقاد نار وسط الغابة على مرأى من جميع الحيوانات وتم رميهم فيها مكبلين الواحد تلو الآخر حتى أحرقوا جميعاً.

هتفت الحيوانات بصوت واحد: هذا جزاءهم وجزاء كل من تسول له نفسه أن يرتكب مثل هذه الجرائم التي لا تغتفر.

في اليوم الموالي لأمسية يوم الأحد قام جلالة الملك بورورو مرفوقاً بالسادة: سنيكا، روزي، تيتي، سوسان، فوركا، وأوكتا بخرجة ميدانية لمعاينة وتفقد مخلفات الحريق بجميع مناطق الغابة واحصاء الموتى وقد شملت المعاينة:

- المجاري المائية.

- أماكن الرعي.

- أماكن تخزين الأكل والمؤونة.

كما كانت هذه الخرجة الميدانية مخصصة أيضاً لمتابعة وتفقد مختلف المشاريع التنموية بالغابة، بهدف تحسين الحياة اليومية للحيوانات والاستماع إلى انشغالاتهم.

من خلال هذه الزيارة، وفي إطار تلبية حاجيات الحيوانات، كان لجلالة الملك بورورو لقاء مع سكان الغابة، أين استمع إلى جل انشغالاتهم وقدّم حلولاً و وعودا لمطالبهم الأساسية ما قوبل بترحيب من قبل الحيوانات خاصة وأن جلالة الملك بورورو أكد أنه لن يدخر جهداً في التكفل بهذه الانشغالات، كما ذكّر جلالة الملك بورورو الحيوانات بالوقوف معه في حالة نجاحه في نيل منصب تسيير البلدة بعدما سمع أنه ضمن قائمة المترشحين، أعلن لهم عن الخبر السار أن النتائج الأولية أثبتت أنه الفائز بالانتخابات

المنظمة بالبلدة وهذا بفضل تظافر جهود جميع الحيوانات التي وضعت كل ثقتها فيه، حيث لم يكن ضـــد ما اقترحوه بل رحب بالفكرة بما أنها تحمل نفعا للغابة والحيوانات كما أنه ســيســـتغل منصـــبه برئاســـة البلدة فقط لصـــالح الحيوانات من خلال اقتراح وتعديل قوانين جديدة تخدم الغابة والإنسان معاً.

كانت حقيبته صغيرة.. لم تحمل الكثير..

بها شاحن هاتفه، معطف شتوي، سروال إضافي، بعض الطعام ودفتر صغير يدوّن عليه ذكرياته ويومياته..

يتمنى من يحظى بشاهد عليه بعد وفاته عند قراءة تلك المخطوطات والخربشات

لم يكن محظوظاً، لكنه كان صبوراً....

قارئ هذا الدفتر، سيتبادر في ذهنه سؤال واحد،

كيف لم ينتحر هذا الكاتب الشاب وتحمّل كل هذا؟

وصـل شـاب إلى البلدة ملابسـه المميزة التي لا تشـبه أحدا هناك، جعلته يبدو غريبا عنها، لكنه أظهر إندهاشا لتغير الأوضاع هناك بشكل كبير، لم يعرف من السـكان إلا القليل منهم، بعض الشـيوخ الذين لم يتحركوا من ذلك المكان منذ سـنوات، فليس لهم بديل عنه، وجد البلدة قد رسـمت على وجهها ملامحا لمْ يعهدها، سـكانها كلٌ في واد يهيمون، لا تظهر عليهم روابط التعاون و الوحدة، لا أحد منهم يهتم بغير مصـلحته الشـخصـية بعيدا عن التضـامن، بعضـهم جعله جلوسـه لسـاعات في مكان واحد يبدو أشـبه بالتماثيل الصـماء، لا تحرك سـاكنا، وصـل بهم الحد أحياناً أن لا يغيّروا مكانهم من طلوع الشمس إلى غروبها.

هذا الشـاب يدعى سـالم، في بداية الثلاثينات من العمر، كان وسـيما، جميل المحيى، أنيق الهندام، طويل القامة، ذو جسـم رياضـي، وُلد سـالم وترعرع بهذه البلدة حتى سـن العشـرينيات حيث غادرها مغتربا نحو بلاد الروم مكرّسـاً حياته للدراسـة والتعلم، أطال مكوثه هناك حتى نهل من علمائها علماً كثيراً، ثم درس القانون حتى أصبح قاضي القضاة، كما أنه زار عدة بلدان مثل أذربيجان، باكسـتان، الصـين، الهند، اليونان وحتى من البلدان العربية العراق ومصر.

بقي سالم في البلدة حوالي أسبوع يسأل ويبحث عن حمار كان يملكه رجل اسمه جحا، لم يحصل على إجابة شافية وثابتة، بعضهم قال له أنه قد توفي والبعض أخبره أنه ذُبح يوم كانت تُذبح الحمير ويباع لحمها في الأسواق، والكثير من الأخبار المضللة والغير أكيدة سمعها سالم هنا وهناك، بعد أن مسَّه اليأس و الحيرة أخذ يتمشى عند أطراف الغابة، حينها التقى برجل يعيش هناك فقال في قرارة نفسه أن لا ضرر من سؤاله عن الحمار المنشود فأخبره مؤكدا أن هناك حمار داخل الغابة عله يكون هو، وأنه قد أصبح ملكاً يحكم الحيوانات التي تعيش هناك.

دخل سالم إلى قلب الغابة باحثا الحمار وخلال ذلك عثر على صندوقٍ صغيرٍ يشبه الصناديق التي كان يملكها جحا، لكن جزئه السفلي كان محترقًا، أخذه بلهفة وفتحه بسرعة كأنه تائه في الصحراء وجد واحة تنضح بالمياه بعد أن كاد يموت عطشاً، فوجد به ورقة تكاد لا تقرأ بسبب ضياع حروفها المبللة بالماء، فاستطاع بعد جهد أنْ يفهم ما خط عليها وقد كان ما يلي:

إلى ولدي سالم...

أعلم أنك لن تصل إلا بعد وفاتي، وهذه وصيتي تركتها لك:

أتمنى أنك عائد إلى مسقط رأسك سالما غانما، محملاً بعلمٍ نافع تفيد به نفسك وغيرك،

لم يكن لدي من الرزق الكثير لأورثك إياه، فكل ما بجعبتي حمارٌ وبيتٌ صغير، أمَّا الميراث الحقيقي الذي لا يزول ولا يفنى، فدعوات خيرٍ ورضا من والدك المريض، أظنني سألحق أمك التي ماتت بسبب وباء حل وأهلك الكثيرين.

اجعل من البيت مأوى لك ومدرسة تستقبل فيها طلاب العلم تنيرهم بما أحطت به علماً أثناء إقامتك خارج البلدة. أما الحمار فأنت حر في قرارك، إما أن تبيعه وتستفيد من ماله لتتزوج أو تطلق سراحه في الغابة. اعتني بنفسك ولا تخيب ظني..

أبوك جحا....

وضع سالم الورقة في جيبه وترك الصندوق في ذلك المكان وعاد إلى البلدة متجهاً نحو قبر والديه، حاملا في قلبه ذكريات وتفاصيل أبيه جحا وأمه،

اغرورقت عيناه دموعا وهو يتمنى لو يعود الزمان عله يحضن أباه الساعة ويقبل رأس أمه ويداها، تمنى أنْ يرى فرحتهما وفخرهما بتخرجه من الجامعة، كان يتوقع فراقهما بعد أن انقطعت أخبارهما عنه.

ما كان على سالم إلى أن يصبر على فقدان والديه ويتأقلم مع الأوضاع التي آلت إليها البلدة ليندمج مع المجتمع الذي غاب عنه سنوات جعلت الأحوال والذهنيات تتغير، المشكلة أن سالم صار غريباً في بلدته التي لم تستقر سياسياً ولا اجتماعياً، لم ينصب فيها رئيس حتى اللحظة بعد نتائج الانتخابات التي لم تكن متوقعة حيث استحوذ الحمار على الأغلبية الساحقة من الأصوات، فمن يحل المشكلة إذن؟

في ذلك الأسـبوع بدأت درجة الحرارة في الارتفاع بشـكل كبير، بدا وكأن فصـل الصـيف قد حل قبل أوانه عندها زاد الطلب على الماء وكثر الاقبال على السباحة والجلوس على حافة الوادي، فها هي السلحفاة سيسا والإوزة فيفا كعادتهما تجلسان هناك، تستمتعان ببرودة ماءه وعذوبة خريره فمتعة الجلوس تحت ظل الأشـجار في هذا المكان الرائع تحفز الرغبة في تجاذب أطراف الحديث وتبادل الأخبار الجديدة عن الغابة والحيوانات.

في هذه الأثناء نزل الحمار ومرافقيه إلى الواد من أجل الاسـتجمام فالتقوا بالسلحفاة سيسا والإوزة فيفا.

سيسا: لقد جاؤوا وسيفسدون علينا الجلوس على حافة الواد.

فيفا: نعم، ألا يعرفون مكاناً آخر يذهبون إليه؟

سـيسـا: يظنون أن المكان الذي يذهب إليه عامة الحيوانات هو مكان مميّز ومريح، هذه نفس الطريقة التي كان ينتهجها الأسد، الملك السابق، فقد كان مجرد سـماع زئيره المزعج، ينغص علينا جلسـتنا ويفسـد صـفونا عندها ينسحب الجميع من المكان تاركينه ليسرح ويمرح، والمزعج في الأمر أكثر من

أي شـيء أنه يترك المكان متسـخاً، قذرًا بعد ذهابه، لذا تضـطر الحيوانات لتنظيفه وإعادته لحالته الأولى حتى يصير صالحاً لجلوسهم.

هذا المكان يقصده الإنسان أيضاً حيث يأتي من أجل قضاء عطلة نهاية الأسبوع أو في نهاية اليوم فيجتمع فيه الأصدقاء وحتى العائلات من أجل احتساء كوب من الشاي أو العصير في ظل الهدوء وجمال المنظر، تاركين أولادهم يلعبون تحت أشجار البلوط والأرز، سماع زقزقة العصافير بجانب خرير المياه ينسيك تعب الدنيا ومشاكلها ويعطيك فرصة للتأمل في خلق الله وتغيير رتابة الحياة.

فيفا: جميع الملوك يمتازون بصفة مشتركة، لا طمع فيهم كلهم يفكرون في مصلحتهم لا المصلحة العامة.

سيسا: أشش احذري أنْ يسمعنا أحدهم فينقل له ما نقوله..

فيفا: وماذا يمكنه أن يفعل؟

سيسا: بإمكانه أن يفعل الكثير، أقل عقوبة قد نتلقاها هي نفينا خارج الغابة.

وصل الحمار بورورو وجماعته إلى طرف الواد، يتمشون بخطى المتكبر يميلون يميناً وشمالاً كأنهم يتسكعون أو يتسوقون في أكبر المراكز التجارية التي تعرض الملابس العالمية الفاخرة.

كان لدى سيسا الجرأة للتقدم نحو ملك الغابة وسؤاله عن موضوع لا يمكن لأي حيوان عادي طرحه على الملك بورورو: مرحبا جلالة الملك بورورو، أعتذر منكم لكني وددت سؤالكم ولم تسنح الفرصة، ألم تذهبوا لغابة الرويغة من أجل الزواج؟ كنا نظن أنك ستعود رفقة زوجك ونحتفل بملكتنا الجديدة؟

الأرنب: ليس بعد فنحن ذهبنا من أجل الخطبة والتفاهم فقط.

سيسا: وهل قبلوا؟

الأرنب: نعم.. في الحقيقة..

قاطع الحمار كلام الأرنب بعد أن تلعثم في الكلام وكاد يقول الحقيقة.

الحمار بورورو: أجلنا الأمر قليلا حتى نحضر له كما يجب، سأقيم عرساً يليق بملك هذه الغابة..

فيفا: ليس ضرورياً إقامة عرس كبير فإنه تبذير للأكل والمؤونة المدخّرة...

الملك بورورو: ما الذي تقولينه؟... نحن نبذر؟ نحن لا نقيم الأفراح والليالي الملاح كل يوم، ألا يحق للحيوانات أن تحضر عرساً أو حفلاً ولو مرة في حياتها؟ تستمتع بأكل ما لذ وطاب من الفواكه والمأكولات الغابية، ترقص، تلعب وتسهر مع بعضها البعض إلى الصباح..

في هذه الأثناء كان روك ودالي يقتربان من الملك يستجمعون بعض الشجاعة لفتح حديثٍ معه بعد أن عرفوا بوجوده هناك رفقة جميع أعضاء مجلسه، ربما تكون فرصة للحوار والنقاش حول مواضيع عدة.

مرحباً سيدي الملك بورورو

الملك بورورو: مرحبا... ماذا هناك؟

روك: نحن فقط نود معرفة ما إذا كان هناك جديد أو إذا كنت بحاجة إلينا؟

دالي: يا سيدي الملك ...

لم يتركها الملك بورورو تكمل كلامها: سأجتمع بكم جميعاً في القريب العاجل، فبالتأكيد نحن بحاجة إليكم.

الملك بورورو: أوكتا تعال... (يهمس في أذنه) أبعد عنَّا هاته الحيوانات لنبقى وحدنا، وإنْ اقترب أي حيوان آخر أخبره أننا مشغولون بعقد اجتماع، ليس الوقت وقت اجتماعات وحل نزاعات... أريد أنْ أرتاح قليلا.

سنيكا: سيدي الملك بورورو، منذ عودتنا من غابة الرويغة والحيوانات كلها تتساءل ما إذا كنت قد تزوجت أو لا.

الملك بورورو: لا تردوا عليهم... أخذنا التعب جراء إطفاء حرائق الغابة فلم نجد وقتاً للحديث في موضوع الزواج، من حسن حظنا أن الحريق مسَّ أجزاء فقط من الغابة، ما جعلها تحافظ على ظلها، مروجها، مائها وثمارها، أظن أن الأوان قد حان لمناقشة موضوع البحث عن حلول تمكنني من تحقيق الشرط... للأسف وجدت أنَّ الصندوق قد احترق جزء منه وفُقدت الورقة التي كانت بداخله، كانت لتكون برهاناً قاطعاً أني أنحدر من قبيلتهم وأثبت لهم عكس ما كانوا يعتقدون.

في هذه الأثناء، وصل إلى الغابة وفد مكوّن من خمسة حمير من غابة الرويغة باحثين عن الملك بورورو حتى استدلوا على مكانه، تعجبت الحمير من منظر الماء بالوادي، فبينما تعاني غابة الرويغة من الجفاف تلعب

حيوانات هنا بالماء مع العلم أن غابتهم كادت تحترق ولولا وفرة المياه ما كانوا ليطفئوها فلو حدث هذا في غابة الرويغة في هذا الظرف لكانت الكارثة.

رئيس الحمير: مســاءكم ســعيد أيها الحمار الملك، منذ زيارتك الأخيرة لنا لم ترجع، لقد طال غيابك عنا، كنا ننتظر عودتك بعد يومين على الأكثر!! يبدو أنك لم تجد دليلاً يثبت أنك من سلالتنا؟

الملك بورورر: غيّرت رأيي.. قررت الزواج منْ الفرس، أنثى الحصــان أجمل وأرقى الســلالات.. وســأقدم لها مَهْرا لم تحلم به أنثى حيوان من قبل، مَهْرا يليق بملكة، ســأوفر لهم كل ما يريدونه هذه الغابة الرائعة من ماء وأكل، وأضمن لهم الأمن والحماية مقابل تزويجي بفرس من عندهم.

رئيس الحمير: لكنها ســتلد لك بغلاً عقيماً، يعدم ســلالتك فلا يرث ملكك أحدٌ بعده.

الملك بورورو: أعلم... لكن البغل جثته قوية وله القدرة على التحمل وسيكون ملكا قويا بعدي، أما أنا يهمني الزواج من سلالة نقية، لذا سأختار الأجمل منهن البيضاء والشقراء وذات القامة الطويلة والرشيقة.. لنْ يكلفني

ذلك شـــيئاً.. أنا الملك هنا، آمر فأُطاع،.. هل هذا ما أتى بكم؟ أظن أن في أفواهكم كلام آخر...

رئيس الحمير: في الحقيقة يا ســيدي، جئناك بطلب نرجو ألا ترجعنا خائبين فارغي الوِفاض.

روزي: هههه يقول سيدي! يا سيدي! هههههه

الحيوانات كلها تضحك.. وكأنها تذكّرت يوم كانوا يستهزؤون بهم وهم ضيوف بأرضهم..

لم يتحرك الحمار بورورو من مكانه، بل ظل مســتلقيا على ظهره يضــع رِجلا فوق الأخرى، يديه مفتوحتين موضــوعتين فوق صـخرتين كأنه على شاطئ البحر يستمتع ببرودة الماء المتدفق من أعالي الجبل...

رئيس الحمير بصــوت خافت يقول للحمير الأخرى: أرأيتم هذه الحيوانات تلعب بالماء ونحن في أمس الحاجة إليه حتى صــرنا نشــتريه بالمال لندرته، أرأيتم كيف أصبحنا نتكلم بضعف وذل متوسلين إليهم، أرأيتم كيف أصبح الحمار ملكاً للغابة..

الملك بورورو: ماذا تقول يا سيد الحمير؟ أسمعنا وأطربنا بشعرك وكلامك هههه.

الحيوانات الأخرى تضحك حتى كاد بعضهم يختنق من الضحك..

روزي لسنيكا: أول مرة يصيب ملكنا في الكلام، إنه يقول الدرر هههه.

سنيكا: أصمت هههه لسنا وحدنا...

إنه يستذكر ما يحفظه يا جلالة الملك بورورو هههه، أظنه يريد مشاركتنا الاستجمام، دعه يرتح من السفر بعدها بإمكانه أن يقول ما عنده من كلام أو يلقي علينا شعره.

الملك بورورو: أدخل يا رئيس الحمير أنت والوفد المرافق لك وشاركنا الاستجمام، نحن أهل الجود والكرم هههه. تفضل، ستخبرنا بموضوعك لاحقا فلسنا قلقين، ما يثقل عليك خفيف علينا ..

رئيس الحمير: شكرا جزيلاً سيدي الحمار، يا جلالة الملك بورورو.

دخلت الحمير الواد وبدأت تشرب حتى امتلأت بطونها واختارت مكاناً مقابل الملك بورورو.

كلّف الملك بورورو تيتي بتحضـير عصـير التوت البري الأسـود والأحمر ليقدم لهم وللضيوف فجلسة كهذه تحتاج عصيرًا باردًا يشرح الصدر، يمنح القوة ويحسن المزاج، وها قد وصل العصير.

الملك بورورو: بالصحة والهناء استمتعوا بما لذ وطاب من خيرات غابتنا.

رئيس الحمير: إنه مشروب رائع، حقاً رائع، هل يمكنني أن أحصل على كأس آخر؟

الملك بورورو: اشرب حتى الثمالة هههه، أنتم ضيوفنا اليوم ومن واجبنا اكرامكم.

سوسان: يمكنكم الآن الحديث عن الموضوع الذي ساقكم إلينا.

رئيس الحمير: لقد ضاق بنا الأمر يا سيدي، فقد اشتد الحرّ وجف الوادي تماما، وليس هناك مصدر ماء آخر، بدأت بعض الحيوانات تموت عطشا أما الكائنات المائية فحدِّث ولا حرج، لم يكن أمامنا غيركم ملجأ ومعين، أنتم أصحاب الشهامة كما عُرف عنكم، وأصحاب الكرم والجود، نحن بحاجة ماسة للماء، إنْ سمحتم لنا أنْ نقترح فتح قناة مائية تربط بين الغابتين

لنقل المياه، علَّ غابتنا تحيا من جديد بعد مماتها وجفافها، سنقابل إحسانكم بتقديم أعز وأجمل آتان ولود من عندنا لتلد لك سلالة تبقي اسمك خالداً وتُذكر دائماً.

الملك بورورو: تعال أيها الحيوان، ايتيني بعصير الفراولة ممزوجاً بفاكهة البطيخ الأصفر بسرعة، لا تتأخر عليَّ... هيا اذهب. ماذا قلت؟ تريدون ماءً مقابل تزويجي؟ أمممم دعني أفكر، الأمر يحتاج إلى تفكير وربما إلى استشارة... على كل ستبيتون الليلة هنا وغداً نتحدث في الأمر ونعلكم قرارنا، أمَّا الآن دعونا نستمتع بهذه الجلسة، لا تفسد علينا مزاجنا، أليس كذلك يا أصدقاء؟

رئيس الحمير: أ ويحتاج هذا الأمر إلى تفكير؟!!

سوسان: وهو كذلك سيدي، الأمر يحتاج إلى تريث..

أوكتا: يا سيدي الأمر يحتاج إلى شورى..

فوركا: نعم.. الأمر يحتاج إلى تفكير..

الأرنب: نعم سيدي.. يجب ألاّ نقلق فالأمر يتطلب دراسة..

سـنيكا: بالطبع يا جماعة، هذه قضـية تتطلب منا التشـاور، يجب علينا أن نتريث في اتخاذ القرار الصائب.

تيتي: أوافقكم الرأي، القضية قضية فحولة يا سيدي و "الفاهم يفهم"..

الملك بورورو: نعم، نعم... سنلتقي سهرة اليوم ونقرر موعد الاجتماع.. أظن الكل موافق؟

رئيس الحمير: لا بأس سيدي فلتفعل ما شئت، لكن نرجو منكم تذكر إخوتكم، إنهم بحاجة ماسة إليكم.

الملك بورورو: دعنا نستجم،.. أين عصيري... أحضروا العصير بسرعة....

أمضـــت الحمير ليلتها تلك في جناح للضـــيوف كان قد جهز لها، بحلول صباح اليوم الموالي اجتمع الملك بورورو ومساعديه من المسؤولين بالضيوف في جلســة عمل بدت وكأنها أكثر جدية، ناقشــوا من خلالها الموضــوع لتثمر عن قرارات ترضي الطرفين فاتفقوا على:

- تزويج الملك بورورو من غابة الرويغة بإسقاط شرط اثبات أصله.

- فتح قناة مياه تصل إلى غابة الرويغة.

- تبادل الخبرات والتعاون في عدة مجالات لإحياء غابة الرويغة وتحديثها.

- التعاون في إعادة تشجير الأماكن المتضررة من الحريق بأشجار مثمرة وأخرى نادرة يأتون بها من غابة الرويغة.

وعلى هامش هذا الاجتماع وجّه الملك بورورو تعليمات للسادة المسؤولين بضرورة الرد على مختلف العرائض والشكاوى المقدمة لهم في أقرب الآجال، كما دعا السادة الحيوانات أعضاء المجلس لمعاينة المشاريع الاستثمارية التي مُنِحت رخص الاستغلال ولم تدخل حيز النشاط بعد، إضافة لقرار استقبال المستثمرين من الغابات المجاورة مع متابعة ملفاتهم والتكفل بانشغالاتهم وايجاد حلول لجميع مشاكلهم.

هكذا يجب علينا أن نكون... متفتحين، متعاونين، ونستمع للآخرين، قال الملك بورورو في خطابه.

وفي سياق الاجتماع أسدى الملك بورورو جملة من التعليمات بناءً على ما تم ملاحظته خلال خرجاته الميدانية والتفقدية التي يقوم بها شخصيا وتمس كل أنحاء الغابة، مشددا وجوب تظافر جهود الجميع من أجل التكفل الأمثل بانشغالات الحيوانات.

أسبوع كامل من التفكير والاقتراحات لإيجاد حل من أجل تنصيب رئيس البلدة بشكل قانوني، خوفا من الحيوانات التي قد تجتاح البلدة وتفسد فيها إذا لم ينصّب الحمار بشكل رسمي ويأخذ حقه الذي ناله بنزاهة، إذا ما حل لهذه المعضلة؟ اقتراحات كثيرة من طرف سكان البلدة ومسؤوليها، اجتماعات دورية وطارئة في كل الأوقات تجمع بين لجنة الانتخابات، أعيان البلدة، رؤساء الأحياء والمجتمع المدني علهم يخرجون بقرار يرضي الجميع، ظل اقتراح تنصيب الحمار رئيساً للبلدة قائما لكن بشكل رمزي ليبقى التسيير الفعلي بيد الإنسان، تجسيداً لمبدأ الديموقراطية، فبدأ البحث عن مالك هذا الحمار بعد أن انتشر الخبر أنه نفسه الذي كان يعيش عند جحا، كان الحل في استدعاء سالم ابن جحا ليكون رئيس البلدة بالنيابة والحمار بورورو رئيسًا شرفيًا، هذا القرار الذي نال استحسان الجميع بحكم أن سالم شاب متعلم ومثقف يمكنه دفع هذه البلدة للازدهار والنمو .

تلقى سالم استدعاء من طرف الأمين العام للبلدة بضرورة الحضور الفوري والعاجل، ما جعل سالم يتخوف من جهله موضوع الاستدعاء الموجه إليه شخصياً، طوى الورقة أربع طيّات ووضعها في جيب صدره، في طريقه إلى

مبنى البلدة التقى صدفة بصديقه عمر وأخذا يتعانقان، لم يريا بعضهما منذ أن هاجر سالم البلدة من أجل طلب العلم.

عمر: كيف حالك يا صديقي؟ سمعت بعودتك للبلدة فقد أصبحت حديث الجميع، لم تتغيّر !!

سالم: الحمد لله على كل حال، نعم عدتُ منذ أسبوع.

عمر: تبدو مستعجلاً ! ما الأمر ؟ !

سالم: نعم، وصلني استدعاء، أنا ذاهب إلى مبنى البلدة، لست أدري ما يريدونه مني حتى أرسلوا في طلبي على عجالة.

عمر: آه.. لا تقلق عساه خيراً.

سالم: أعتذر منك، ستكون لنا جلسة مطولة بإذن الله ونتحدث براحتنا عن كل شيء.

عمر: لا بأس، سأزورك مساءً.

دخل سالم مبنى البلدة فوجد في انتظاره ثلة من المسؤولين ورؤساء جمعيات إضافة للمجتمع المدني.

بدأ الاجتماع بكلمة افتتاحية للأمين العام "المسؤول الأول" الذي رحب بالضيوف وبسالم أيضاً وأخذ يشرح له موضوع الاستدعاء أين وضح له ما جرى في الانتخابات وضرورة النضال من أجل بناء بلدة جديدة والعمل على حل المشاكل التي أرقت الجميع، ما يستدعي تظافر جهود الجميع، مع وضع المصالح الشخصية جانباً و التعجيل بالمصلحة العامة، دون الاستغناء عن الغابة التي تعتبر جزءً لا يتجزأ من البلدة، بهذه الطريقة ستكون حتمًا أفضل عهدة سياسية اسهاماً في تنمية البلدة و الغابة معاً.

الأمين العام: يا سيد سالم ليس لدينا حل آخر سوى تنصيبك رئيسا للبلدة، نطلب منك ونتمنى أن تقبل هذه المسؤولية الملقاة على عاتقك.

سالم: أشكركم على هذه الثقة التي وضعتموها في، لكنني كما تعلمون لست أهلا لها وهناك من هم أفضل مني خبرة ودراية بالعمل السياسي.

الأمين العام: لن تسـيّر البلدة وحدك بل هناك فريق عمل مكوّن، يملك خبرة جيّدة في التسيير الإداري، لنْ تقوم بأي عمل سياسي أصلاً بل ترأسك البلدة

هو سبيل ايجاد حلول لمشاكل البلدة والغابة بطرق قانونية، ووضع اقتراحات لمشاريع تنموية بالتعاون مع فريق عمل، وبما أنك متعلم وكنت مقيماً خارج البلد فحتماً سنستفيد من خبرتك.

سالم: لا يمكن أن أتخذ القرار الآن، أحتاج إلى بعض الوقت..

الأمين العام: لك ذلك، لكن لا تنسى أن أعين وآمال سكان البلدة كلها متجهة صوبك.

في تلك الأمسية بقي سالم في منزله يفكر فيما يفعله فقد حُمّل جبلاً فوق ظهره، لم يجلس ولم يهنأ له بال، ظل يجول في المنزل جيئة وذهابا، يقف أمام النافذة المطلة على الشارع الرئيسي للبلدة دقائقاً ثم يغيّر المكان ليعود مرة أخرى وهكذا كانت علامات التوتر بادية عليه وبشدة. بعد برهة سمع طرقا على الباب، أخذ يرتب الأثاث ويرجع الأشياء إلى أماكنها بسرعة عل الضيف يدخل المنزل ويراه بهذه الحالة الفوضوية، حاول تنظيم البيت في لمح البصر قبل أن يفتح الباب ويجد الزائر صديقه عمر.

- آه هذا أنت، أدخل.. أدخل، تفضل من هنا.

- السلام عليكم، أخي سالم، كيف حالك؟

- كيف حالي.. حالي هو حال الشخص الذي ضيّع سنده وحمل أثقاله وأثقال غيره..
- اجلس.. اجلس.. حديثك لا يطمئن، دعنا نتحدث ونتبادل الهموم علها تفرج. لا تقلق فلكل مشكلة حل.. ماذا قررت أن تفعل وما هو قرارك للعرض الذي قُدّم لك؟
- هل كنت تعلم بما يجري؟ أتسمي هذا عرضاً؟
- نعم كنت أعلم بل البلدة كلها تعلم، يبدو أنك آخر من يعلم هههه، هل وجدت حلاً لهذا الاقتراح؟
- ذاك ما وجدتني أفكر فيه و أبحث عن حلول له،.. بماذا تنصحني؟ أنا حائر في أمري والله عجزت عن التفكير.. كل ما يدور في ذهني هو الرفض.
- غير معقول يا سالم، ليس هناك حل آخر، أتعلم ما سيحصل لو رفضت؟ قد تهجم علينا حيوانات الغابة، تفسد عيشتنا وقد تنشب حرب بيننا وبينهم، لسنا مستعدين ولا جاهزين لمثل هذا الأزمات أو الحروب اللعينة. والله لن يمر هذا بسلام، علاقتنا

بسـكان الغابة متوترة، وقد تزداد سـوءً برفضـنا الحمار رئيسـاً أو بـالأحرى صـــاحـب الحمـار، فنحن محظوظون أن للحمـار مـالـك والقانون يسمح أو يلزم أن ينوبه مالكه في شغل المنصب.

- نعم فهمتك جيّداً..

بعد قبول نجاح الحمار بانتخابات البلدة، نُظّمت حفلة في الغابة برعاية الملك بورورو نشـطها كل من المغني "الشـاب الصـرصـور الديداني" و "الشـابة البومة الفرحانية"، رفقة فرقة الرقص المكونة من اللقلق والدجاجة ومعهم الحجلة التي لا تفوت مثل هذه الفرص والمناســبات حتى لو كانت المشــاركة دون مقابل ودون دعوة.

اسـتمرت الحفلة إلى غاية الثانية بعد منتصـف الليل، بعضـهم مرهق من الرقص والبعض الآخر أنهكـه التنظيم، آخرون ســكـارى يتطوحون يمينـا وشــمالا، ظلت بعض الحيوانات تتجاذب أطراف الحديث إلى أن بانت أولى خيوط الفجر، الآن سـينقسـمون بين سـاعٍ في جمع رزقه وعائد إلى بيته، ليلة سمر ليست كباقي الليالي نادراً ما تحدث و يلتقي جل الحيوانات، الأليفة منها والمفترســة دون أنْ يعتدي أحدهم على الآخر، انقســمت فيها الحيوانات إلى

مجموعات وشكلوا حلقات، بعضهم فضّل الجلوس على أغصان الشجر والبعض الآخر فوق الحجارة وآخرون اختاروا حافة الواد.

في هذه الجلسة تتسامح وتجتمع كل الحيوانات، الزواحف، الطيور الأليفة منها والمتوحشة فلا أحد يؤذي الآخر، جلسة تجعل كل واحد يحكي ما بجعبته من الحكايات، مغامراته ونِكات تضحكهم وتزيل هموم النفوس، المجموعة التي شملت الفأر، البومة والصرصور بدأت جلستها بالاستماع لحكايات الصرصور ومغامراته التي رواها بهزل وجَد، فكاهته جعلت مجموعته تنفجر ضحكا، لم تتمالك نفسها عند سماعها قصة تعذيبه من طرف أحد سكان البلدة والذي نجا منها بكل أعجوبة. كان أحد سكان البلدة ينزعج كثيراً من صوت الصرصور ليلاً فلا يهنأ باله ولا يغمض له جفن حتى يقبض على الصرصور فقد نوى تعذيبه بطريقة خاصة، لم يتوقف الصرصور عن عزف موسيقاه التي ازعجت ذلك الرجل فاستمر يصفر فرحا فخورا بذلك، كانت تلك هوايته المفضلة والوحيدة التي لا يجيد غيرها، لم يَطُل الأمر حتى أُلقي القبض عليه، بينما بقي متجمدا لا يعرف أي مصير ينتظره. أدخله المنزل وقام بربطه بشريط لاصق على الجدار ثم أحضر سماعات وضعها على أذنيه مشغلا موسيقى صاخبة برفع الصوت لأقصى

درجاته ... وهو يردد له: اسـمع الآن،.. اسـمع.. أرأيت كم هو مزعج؟ سـأنتقم منك اليوم...

فضَّل النسر الانصات لحكايات الفأر نينو، بعد أن طلب منه أن يشاركهم مغامراته: هيا احكي لنا مغامراتك يا نينو، أخبرنا كيف كنت تنجو من الموت، ليس من القط بل احكي لنا هذه المرة قصـصـك مع الإنسـان، لأننا نعلم أن أكثر ما يزعج الإنسان هم الفئران عند تواجدهم ببيته، خاصة النساء اللائي يبكين ويصرخن بمجرد سماع اسم فأر هههه (يضحك الجميع). ما الخطط التي كان يتبعها الانسـان للقبض عليك؟ كيف كان يعذبكم؟ أكاد أجزم كم كان صعبا عليك رؤية إخوتك بين يديه دون قدرة على فعل شيء...

عانى الفأر في حياته كثيراً فقد تعرض لأبشـع أنواع العذاب من الحيوان والإنسـان على حد سـواء، صـغر حجمه يجعله مصـدر إزعاج وقلق بالبيت، عُرِف عنه التخريب والفسـاد، لا يمر إلا وقد قرض كل ما يجده، الفراش، الخيوط الكهربائية والملابس أشهى مأكولاته، اشتهر بذكائه ومهارته في الهرب حتى أن شـركة وول ديزني أنتجت رسـوماً متحركة تحكي فيها مغامرات القط

والفأر أعطته شـخصـية الذكي الذي ينجو من الموت والعقوبات المسـلطة عليه من طرف القط دائماً.

توسـط الفأر نينو المجموعة و بدأ يحكي بكل عفوية بعد أن صـمت برهة مسـترجعا ذكريات عاشـها: نحن نعاني كثيراً من الإنسـان، نتسـاءل دوما عن سـبب انزعاجه من وجودنا، صـغر حجمنا لا يكلفه مسـاحة أو طعاما كثيرا، عكس القطط والكلاب التي غالبا ما تقاسـمه فراشـه، يتحمل مسـؤولية مرضـها فيهب راكضـا بها نحو البيطري، دون نسـيان أكلها الخاص باهض الثمن، بينما يرضـينا الفُتات ويسـد جوعنا، لم نتمكن أبدا من معرفة سـبب نفوره منا ومحاربتنا رغم أننا كائنات أليفة، نحن حتى لا نصـدر أصـواتا عالية، إلا أن خرخشـة بسـيطة منا خلال رحلة البحث عن بعض بقايا الطعام، تدق جرس الطوارئ ببيوتهم وتُعلن حالة تأهب واسـتعداد لبداية الحرب، كل مرة يُبدعون في خلق أسـاليب تعذيب وقتل جديدة، فخاخ عصرية تتطور كل مرة، حتى السم سقونا إياه، يشترونه من محل الخردوات علبا وأكياسا، عليها صورنا، وصورتك أيضا أيها الصرصور، أظنهم يكرهون الفنانين والمغنيين مثلكم هههه، أذكر آخر مرة نجوت فيها من الموت المحقق، عندما تم القبض علي متلبسا بأكل قطعة جبن أظنها كانت من نوع

الكامامبير الفاخر اشـتهيتها، فرائحتها الزكية أسـالت لعابي و أثارت روح المغامرة لدي، رغم إحسـاسـي أن الأمر قد يكون مجرد خدعة وفخ للإيقاع بي، قضـمة وحيدة، كانت كافية لارتداد المصـيدة مطبقة عليّ، رأيت الموت حقيقة ترتسـم أمامي في تلك اللحظات و أنا أعلم أن لا مهرب من حتمية حضور السفاح لتفقد ما إذا كانت خطته قد نجحت، إما اليوم أو غداً، إنها النهاية دون شك.

كان الشـر يتطاير من عيناه، كيف أقنعه أني آتي إلى هنا أول مرة؟ تقدم مني وعلامات السخرية والاستصغار بادية عليه، فتح المصيدة ليرفعني من ذيلي مأرجحا جسـدي الصـغير أمام وجهه، لم أكن أفهم كلامه، لكنه بدا وكأنه وابل من الشتائم والتوبيخ، كان سعيدا بانتصاره يسير بي نحو ورشته، حمل أنبوب النار Chalumeau، شغله واستمر في حديثه الغير مفهوم مقربا الشـعلة مني، أحرق شـواربي ثم أخذ يغرقني لحظات في الماء وينتشـلني مرة أخرى، لم يتحمل جسـدي ما كان يحدث له فبدأت أتظاهر بالموت، وضـعني فوق الطاولة الحديدية ليأتي بشـيء ما... حينها اغتنمت الفرصـة الذهبية الوحيدة التي سـتكون بمثابة حياة جديدة تُكتب لي، اسـتجمعتُ قواي وركضـت لا أفرق الاتجاهات، كل همي كان الخروج من هناك، اختبأت

لساعات دون حراك حتى لا يسمع لي أي صوت بينما أتعافى وأصبح قادرا على العودة لمنزلي، كان يبحث عني عند رجوعه وقد تذمر كثيرا من هربي، فأخذ ينصب فخا جديدا، الحمد لله أن حاسة الشم كانت منعدمة عندي حينها بسبب الماء الذي أغرقني به، لكنت أعدت نفس الخطأ، رائحة الجبن لا تترك مجالا للتفكير، تأكدت أن الظلام حل والهدوء عم فخرجت أبحث عن فجوة توصلني للخارج، نجوت بأعجوبة لم أصدق أني بقيت على قيد الحياة. لا أظنكم تفهمون طبيعة الإنسان، فهو كائن غريب الأطوار يغيّر أسلوبه كل لحظة، تنتج عنه سلوكيات غريبة، تجعلك عاجزا عن معرفة طريقة تفكيره وما يريد، ما يعجبه أو يزعجه.

البومة: أتعلم أيها الفأر ماذا يقول عني الإنسان؟ يقول أنني نذير شؤم لا أجلب سوى النحس وسوء الحظ؟ هل ترى هذا الكلام صحيحا؟

الفأر: أهذا ما يقوله؟ كيف ينزعج منك؟ أظن أن مشكلته مع الظلام هههه فكل حشرة أو حيوان أو طائر يأتيه ليلاً إلا ويأخذ عنه انطباعا سيئا ليصبح بالنسبة له مصدر إزعاج من الواجب القضاء عليه.

البومة: في إحدى الليالي بينما كنتُ أستمتع بضوء القمر وأغني فوق سقف أحد المنازل سمعت رجلا يقول لزوجته وابنه الصغير ذو السبع سنوات، أتعلمان ماذا يعني هذا الصوت؟

هذا صوت طائر البوم ووقوفه على سطح المنزل لا يحمل بشرى خير أبدا، لقد كانت لنا تجربة معها حيث توفي أخي في حادث مرور في اليوم الموالي لرؤيتنا لها، لذا توجب عليَّ الآن قتلها كي نحمي أنفسنا من لعنة النحس التي تحملها، آتيني حالاً بالبندقية فلن أتركها تعيش أو تقضي ليتلها هنا فوق الشجرة.

بعد دقائق عادت زوجته تحمل البندقية وحزام الخراطيش، قدمتها له دون نقاش، قام بتحضير الطلقة وصوبها نحوي مركزا كل مهارته على الشجرة التي كنت أقف عليها، لكن ما إن كاد يقوم بما نوى حتى غيّرت مكاني بعيداً، نجوت من تلك الحادثة بأعجوبة، لأنني لم أنتبه لما كان يدور في فناء المنزل، لم أكن أعتقد أن إنساناً يجرؤ على قتل طائر بسبب صوت يراه مزعجا، تيقنتُ جدية الأمر حين رأيتُ فوهة البندقية تتجه نحوي، كان

عازما بل فخورا بما ينوي فعله، عله يجعل من القصـــة رواية بطولة يرويها عبر أجيال في جميع المجالس كلما فُتح المجال لتبادل قصص المغامرات.

كان الحمـار ينتقـل من مجموعـة إلى أخرى، يجـالســهم بعض الوقـت ويتبادل معهم أطراف الحديث، يســتمع لحكاياتهم، وفي هذه الأثناء لاحظ غياب بعض المدعوين.

الحمار بورورو: أتساءل دائماً لماذا لا تحضر العنكبوت مثل هذه الجلسات؟ دائماً تعتذر وتجد مبررات لغيابها.

النســر: العنكبوت ليس لها وقت يا ســيدي الملك، فهي دائماً منهمكة ببناء ذلك البيت كما تســميه، بيت مكوّن فقط من خيوط معقدة رقيقة، شــبكة مزعجة للجميع تصـممه كفخ تصـطاد به الحشـرات، أتعجب منها فهي تجهد نفســها بصــناعة شــيء لا معنى له، هذه هوايتها الوحيدة الثابتة على مر العصور.

البومـة: إنـه أوهن البيوت لو تعلمون، أنثى العنكبوت غريبـة الأطوار فهي تقتل الذكر لتجعله غذاء لأولادها الذين فور ولادتهم يقتلونها هي الأخرى ... دعونا منها.

نُصّب سالم رئيساً للبلدة بعد اقتناعه بضرورة الأمر، لم يكن هناك خيار آخر غير القبول، حتى سكان البلدة لم يجدوا بديلا عنه، بدأ رئيس البلدة سالم خرجاته الميدانية منذ أسبوعه الأول مع أعضاء مجلسه، تمحورت زياراته حول التعرف على البلدة وما تملكه من مؤسسات، وفي برنامج الزيارات المبرمجة لهذا اليوم كانت البداية بمتحف البلدة ثم المركز الثقافي وبعدها اختتمت الخرجة بزيارة بحديقة الحيوانات.

كان المتحف مهجورًا تماماً، يحوي عدة قطع أثرية تعود للحقبة الرومانية والفينيقية، الأغلبية كانوا يرونها مجرد حجارة لا معنى لها، في الساحة عند مدخل المتحف كانت الأحجار مترامية بشكل فوضوي في كل مكان، أما داخله فكان مخرّبًا تماماً، لا نوافذ ولا حتى أبواب، حتى خيوط الكهرباء لم تسلم من السرقة، اندهش رئيس البلدة الجديد السيد سالم وأعضاء مجلسه من هذا المنظر المثير للشفقة، فالحال لا يبشر بخير أبدا، مثل هذه السلوكيات تتعمد طمس تاريخ البلدة بطريقة غبية. عدم الاهتمام بالآثار واهمالها يعد محوًا لدلائل وجود الإنسان هنا منذ القدم وعراقة البلدة فموقعها الاستراتيجي جعل الإنسان يعيش فيها كما كانت ممرا للمسافرين والتجار من كل حدب وصوب.

وقف السيد سالم عند ساحة المتحف بعد مروره بجميع زواياه محدثا فريق عمله الذين كانوا مستائين هم الآخرون لما رأوه، فمعظمهم يكتشف المكان لأول مرة لينصدم لما آلت إليه هذه الآثار: لا بد من إيجاد حل مستعجل لهذا المتحف وتخصيص ميزانية لإعادة ترميمه وتفعيله يجب أيضا تحسيس المواطنين بجلب أكبر عدد ممكن من القطع الأثرية لكل الحقب التاريخية، أنا متأكد أن هناك من يمتلك العديد من القطع بمنزله لأن بعضهم وجدها بأرضه خلال أشغال الحفر والبناء لتعمير بيته، هذه القطع الأثرية تحكي تاريخ المدينة وستعيد لها حتماً قيمتها التاريخية وتجعل السواح يتوافدون للمنطقة.

أشار السيد سالم إلى الكاتب العام: دوّن جميع الملاحظات لنعد تقريراً مفصلاً حول كل مؤسسة.

- نعم سيدي سأفعل.
- دعونا الآن نقصد المركز الثقافي، هل هو بعيد من هنا؟

- لا يا سيدي بإمكاننا الذهاب إليه مشياً، سنكون هناك في غضون الخمس دقائق فقط، قال ذلك رئيس الحظيرة حاملا مجموعة من المفاتيح بيده.

كان النادي الثقافي قديما جداً، تبدو عليه علامات الهجر فقد توقفت نشـــاطاته منذ مدة طويلة، يحتاج أيضـــاً إلى ترميم، به أجهزة إعلام آلي أكل عليها الدهر وشرب، أمَّا قاعة المطالعة لا تحوي سوى بعض الكتب بعناوين قديمة، أوراقها بالية فالرطوبة أخذت منها ما أخذت، هذا ما تبقى ومن سرق بحجة الاعارة في زمن حركة المكتبة.

لم تدم زيارة رئيس البلدة الســـيد ســـالم وأعضـــاء مجلســـه مدة طويلة بالنادي الثقافي، نتج عنها قرار تعيين حراس للمؤسسة، بعد أن عاينوا سرقة العديد من الآلات الموسيقية والكتب إضافة إلى الأجهزة الالكترونية.

كانت حديقة الحيوانات في نهاية قائمة الزيارات لهذا اليوم.

تســـاءل رئيس البلدة الســـيد ســـالم وتعجب كثيراً عند دخوله فأول ما لاحظه عدم التزام المسيّرين بواجباتهم نحو خدمة الحيوانات التي كانت تبدو على قدر كبير من الجوع، تعاني حرمان التغذية الضرورية لها، أسست هذه

الحديقة منذ خمس سـنوات تقريباً، حينها بدأوا بتربية الحيوانات فيها من مختلف الأنواع و السلالات، تميزت بوجود عدة فصائل نادرة من الحيوانات على غرار الأسـد والقرد والنمر بنوعيه الأبيض والأسـود والضـبع أيضـا، كما احتوت جهة مخصصة للطيور تتوسطها بحيرة صغيرة بها طائر يدعى المالك الحزين و أيضا مكان آخر مخصص للزواحف ...

سالم: هذا المكان مخصص للحيوانات المفترسة إذا؟

المدير: نعم سيدي، كلها حيوانات نادرة لم تعد تعيش بمنطقتنا.

سـالم: ما لفت انتباهي أنها صـارت أشـبه بحيوانات أليفة، غير معقول، أسـدٌ لا يزأر ونمرٌ لا يهاجم وضبعٌ يغط في سبات عميق.

المدير: سيدي نحن نحقنهم بمُسكّن يجعلهم ينامون كثيراً ويصيرون هادئين كأنهم حيوانات أليفة، حتى لا يزعجوا الزوار ونتجنب أي حوادث.

اقترب مدير الحديقة من قفص الأسـد، أشـار بيده اليمنى قائلا: سـيدي هذا الأسـد من سـلالة نادرة، (كان يتكلم مفتخرا كأنه يقود سـيارة فاخرة من آخر طراز) أمه كانت آخر لبؤة من سلالتهم عاشت في الغابة القريبة من هنا، وفي احدى جولات الصـيد عثر عليها الصـيادون وحيدة ما بين غابة الرويغة والغابة القريبة، وبعد مرور ثلاث أشـهر فقط وضـعت شـبلا هو هذا الأسـد

الذي ترونه أمامكم، بفضـــل وجوده تزايد عدد الزوار، جلهم يأتون لرؤية الشـــبل الذي يشـــبه القط بحجم أكبر، وظل الزوار يتوافدون على الحديقة حتى كبر و أصبح أسداً، أغلبهم كان يرى هذا الحيوان لأول مرة.

سالم: ومن أين حصلتم على النمر؟

المدير: وُجد لدى أحد الأثرياء عند مداهمة منزله، حيث يمنع القانون منعاً باتاً تربية الحيوانات النادرة أو المتوحشة بالمنازل كما تسلط عليهم أشد العقوبات.

- من المفروض أن تسمى هذه الحديقة "معرض حيوانات مسجونة "..

بدأت البلدة تتحسن وتتطور بشكل ملحوظ بعد أن استمر سالم في حكم البلدة فقام بتغيير أعضـــاء المجلس الغير المؤهلين: ســـرحان زناتي، مقداد سـبيعي، سـعيد مسـتور، بختة عيشـوبة، كما أنه لم ينسـى وصـية أبيه بفتح مدرســة تعليمية بمقر ســكناه والتي اســتفاد منها الكثير وتخرج منها العديد من الشـباب بشـهادات ضـمنت لهم مناصـب شـغل وحرفاً أتقنوها، أما الغابة أصبحت محمية من طرف الإنسـان يحرس حيواناتها الأليفة والمتوحشـة من الصيد العشـوائي وأشـجارها من الحرق و القطع، ذاع صيت سـالم فاقترح في وقت وجيز كوزيراً فكان أصـغر وزير ضـمن الوزراء الذين لهم خبرة في المجال السياسي.

ســـتشـــتاق للعب الأطفال هنا في هذه الحديقة، إنْ حالفك الحظ في رؤيته فهذا يعني الكثير، قد يعني زوال الخوف، الأمن، البراءة، قد يعني أو يؤكد وجود الســلام، و أيضــاً الحب، ســتتأكد من لَمِّ شــمل هذه البلدة، ســتظهر الحقيقة في هذه المدينة و ســتحمل لك رموزاً أو رائحة توحي لك بوجود حياة سعيدة ببداية ربيع مزهر و مثمر، فراشات بكل الألوان غزت المكان، ســافرت و هاجرت حتى وصــلت في وقتها المحدد لمكانها المعهود، تهيأت لحضــور عرس الطبيعة، تزيّنت كل مجموعة بألوان اختلفت عن الأخرى، فراشات لا تغني و لا يسمع صوتها، لا تزعج أحداً، حضرت لترقص بهدوء فقط... لترسم لون الحب.

الفصل الأخير

رحلات مسافر لا تتوقف.. مرة هنا ومرة هناك ومرة لا تدري إلى أين، في مدينته غريب يكاد يختنق، من نقص الأكسجين؟ لا.. بل أشياء تعكّر صفو روحه وتخنق أحلامه، أحياناً لا يتكلم وأحياناً أخرى لا يرى، بكل بساطة لا يستمتع، يعتقد أن الوطن ليس الذي نولد فيه فَيَهم باحثا، حاملا عقيدة السفر، يشعر أنَّ كل مكان قد يصلح ليكون وطنه إلاّ الذي ولد فيه، غريب غير مرغوب فيه، يفتش في ذاكرته عن شيء لم يعلمه بعد ربما هو مفتاح سرّي لذلك الدُّرج، يقلب كل ما فيه ويسأل نفسه عن ماذا يريده، قد لا يعلم، بل يتذكر أحياناً أنه ذات يوم بحث عن هويته، ثارت كل حواسه... نعم تذكّر كل شيء.. كان هناك.. رحلات مسافر لا تتوقف.. يبدو حزيناً.. نعم هو هكذا..

يملأ دفتره بكلمات ومخطوطات، يكتب الذكريات، يوثق كل الخطوات وكل المشاعر التي أحسها خلال مروره بدول البلقان مشياً.. هارباً كان أو سائحاً، قد يكتب قصصاً حدثت خلال تلك الأيام والشهور التي لا تشبه بتاتاً تلك التي عاشها في بلد لم يحس أبداً أنه موطنه.. ببساطة لأنه كان

غريباً... الغربة غربة الروح لا الأوطان، قد يعشق فتاةً فذاك أمر يخصه، قد يحب المال وهو أمره أيضاً.. لكن تذكّر.. قد يكون سيئاً لك.. تذكّر أيضاً أن تختار موطنك.. فرحلات هذا المسافر لا تتوقف أبداً.

- مرحباً ... آه ..... هذه لك؟ (يُقلّب الأوراق صفحة بصفحة بعد أن قرأ جزءاً منها) ...أظنك تقصد جحا والحمار؟

- هههه نعم كتاباتي... لا بل أعني ما هو مكتوب تماما "حمار جحا"،..

- ولماذا عكستها؟ اعتدنا أن نسمع قصص جحا والحمار لا العكس.

- كان ذلك في الماضي يا عزيزي.. أما الآن فكل شيء تغيّر، البلاد والعباد، لا شيء ظل على حاله، أما بالنسبة للقصة، بما أن جحا مات وظل حماره على قيد الحياة فمن الجيد أن نحكي مغامراته.

- كل هذه الأوراق تتحدث عن ذاك المسكين؟ !

- نعم المسكين هههه... أتدري، رغم بساطة حياتنا إلا أننا نحتاج نظاما محكما لنعيشها، لو لم يكن الأمر كذلك لاختلط الحابل بالنابل ولرأيت الجميع في غير أماكنهم الطبيعية... بصراحة يا صديقي لا أنصحك بقراءة هذه الرواية هههه، لن تفهم منها شيئًا.

- هههه ألهذا الحد؟! أظنك تقصد أنني لست مثقفاً ولا ملمًا بمواضيع السياسة والثقافة أو الرياضة حتى لا أفهم ما كتبته؟

- كنت أمزح فقط.. الأمر كله أن قراءتها ستتعبك كثيراً، هذا ما قصدته.. على فكرة تحدثتُ اليوم أتحدث مع الأهل، أخبروني أن أمي مريضة، حالتها حرجة وتطلب رؤيتي.، عليّ العودة إلى الجزائر في أقرب وقت.

- هل الأمر خطر لهذه الدرجة؟ أعني إنْ كان مرضا عابرا فلا داعي للعودة للجزائر، ألم تقل أنك لن تعود قبل الحصول على الإقامة؟

- صحيح أنني قلت ذلك.. لكن لم أحسب حسابا لهذا السيناريو أبداً، أمي على فراش الموت، لست أدري ما عليَّ فعله، أحس أنني مكتوف اليدين، كل ما أستطيعه هو الدعاء لها وتمني الشفاء على أمل رؤيتها في أقرب وقت.

- آسف لذلك يا صديقي، أتمنى ألا يحدث الأسوأ، وتتمكن من رؤيتها إن شاء الله.

بعد مرور ثلاثة أيام، كان أمين يتجهز من أجل العودة للجزائر، بينما انشغل بجمع أغراضه في حقيبته المركونة فوق الخزانة مذ وصوله بعدما أكلها غبار الاهمال، رن هاتفه، انتشله من التفكير العميق الذي كان يغرق فيه، "لقد توفيت أمه اللحظة"، نعم كان هذا مفاد المكالمة، الهاتف صار ثقيلا بثقل الخبر، ليسقط أرضا ويتبعه أمين، لم يكن له سوى أنْ يردد "الله

أكبر..."حتى أحس بيد تربت على كتفه وصـــوت يقول: " إنا لله و إنا إليه راجعون، ربي يرحمها، إدعيلها بالرحمة يا أخي" كان حمزة الذي لمْ يحتج كلاما ليفهم ما حدث، ثم عانقه مواسيا إياه.

- لا تضـيّع الوقت هيا انهض علينا الوصـــول باكرا للمطار حتى لا تفوت رحلتك.

بخطى متثاقلة ودموع منهمرة تواســي الشــهقات التي لم تتوقف منذ سماعه الخبر وحتى ركوبه الطائرة، ودّع الصديقان بعضهما البعض بحرارة مازجها الحزن والألم في حين، فقد تكون هذه المرة الأخيرة التي تطأ فيها قدما أمين هذه الدولة.

تمت الإجراءات بســـرعة في المطار دون عراقيل وبعد رحلة دامت أكثر من 15 ساعة وصلت الطائرة إلى مطار هواري بومدين الدولي، لم أتذكّر ما جرى بالطائرة ولا حتى تلك الوجبة التي قدّمت لنا، مرت تلك الساعات كالتي مرت على الشـــاب أيمن داخل جناح الطائرة حين اختبئ فيها خفية من أجل أن يسافر إلى فرنسا من مطار هواري بومدين. قصة هذا الشاب مثيرة، الهدف الوحيد لأيمن كان الســـفر إلى أوروبا بأي طريقة كانت حتى لو كلّفه ذلك

حياته، لم يترك طريقة إلا و جربها، كانت أولاها محاولة الهروب عبر ميناء سكيكدة بصعود الباخرة المتجهة إلى أوروبا، محاولاته تلك كانت دوما ما تبوء بالفشل وفي الأخيرة أراد أن يجرّب التخفي داخل جناح الطائرة، الغريب في القصة كيف دخل المطار دون أن يكتشف أمره، فمطار الجزائر الدولي يعد من أشد المطارات حراسة، أيضا كيف وصل سالماً وقد جرّب العديد قبله هذه الطريقة لكنهم وصلوا جثثاً هامدة، تكتشف جثث أغلبهم بعد أيام، لم يكن أيمن يبالي بالنتائج مهما كانت، أخذ معه سجادة صلاة، ففي قرارة نفسه كان موقنا أنه سيصل وأنه لن يجد سجادة يصلي عليها في فرنسا، كان يبلغ من العمر ست عشرة سنة، ينحدر من مدينة قسنطينة حيث كان يعيش يتيم الأب، يحلم بالعيش الكريم كأي شاب في عمره، غادر مقاعد الدراسة قبل ثلاث سنوات ليبدأ العمل في محل الجزارة، الأجرة كانت ضعيفة جدا فاضطر للتوقف عن العمل، بعد أن قرر تغيير حياته للأفضل، مرت أيامه متشابهة كأنها فيلم واحد تتابعه كل يوم، رتابة مملة، تفكير واحد يملأ فراغات الدماغ، "الحرقة" بأي طريقة وبأي وسيلة.. وها قد جاء اليوم الذي قد آخر يوم يجرب فيه، إما الحياة أو الموت، وصل أيمن العاصمة على الساعة الثانية صباحاً، وفي سيارة أجرة دفع ثمنها آخر ألف

دينار كانت بحوزته اتجه نحو مطار هواري بومدين، لم يودع أمه، حتى أنه لم يخبر أحداً بخطته، بعد مرور دقائق وصل السياج مشياً، بدأ يبحث عن ثغرات، ولحسن حظه أو سوءه، وجد أن هناك فتحة تحت الباب يمكنه الدخول منها ليجد سياجا آخر على بُعد متر، لا بد من تجاوزه دون أن يجرح نفسه، وضع السجادة لتساعده على تخطيه، بعدها بدأ يراقب الطائرات ومركز المراقبة، الساعة 13:30 كان موعد الطائرة المتجهة لفرنسا والتي كانت هدفه، كان يعلم ذلك من خلال تطبيق ثبته على هاتفه ساعده في بناء خطته، في هذه اللحظات المتوترة التي تجعل نبضات القلب تتزايد في أعلى وتيرة، انطلق بالسماء صوت الحق معلنا صلاة الفجر، كان يسمع صوت الآذان غير بعيد عنه، ظل يحاول البقاء فطنا لمراقبة ابتعاد الحراس حتى يقترب من الطائرة، لا مجال للخطأ، لا يجب أنْ يُكتشف أمره ككل مرة ويتعرض للضرب المبرح مثل محاولة الميناء. رأى أيمن الحارس ببرج المراقبة الأقرب منه، ذاهب للصلاة، دون أن يترك من ينوبه، قد تكون هناك كاميرات مراقبة، لكنها الفرصة التي لا تتكرر، ركض مسرعاً تجاه الطائرة الثانية، استقر في ذلك المكان الضيّق بين أعمدة الحديد وأنابيب الزيت داخل جناح الطائرة المظلم، كان يفكّر أن يصلي صلاة الفجر هو الآخر، استغل مياه

الأمطار التي كانت تتساقط وتسيل فوق جناح الطائرة للوضوء وليروي عطشه أيضا، ولَّى وجهه في أول وجهة ارتاح لها قلبه فهو لا يعلم أين اتجاه القِبلة وكبر للصلاة، لم يكن يحمل غير سجادته ومصحفاً صغيراً بجيبه. ظل على تلك الحال في ذلك الجحر الضيق عشر ساعات يرى الشرطة وعمال المطار والجمارك يمشون تحته ويسمع أصواتهم، أخيرا مضى الوقت وأقلعت الطائرة عندها انتبه أنه مصاب. مرت ساعتين ونصف دون أن يعي شيئا فقدْ فَقَدَ وعيه بعد اقلاع الطائرة بلحظات، برودة تسللت إلى جميع أعضائه وسكنت عظامه، صوت المحركات والضغط الجوي جعلا أذنيه تنغلقان، حطت الطائرة في مطار أورلي وبدأ المسافرون بالنزول، أيمن لا زال حياً، أخذ يستنجد بأحد المسافرين طالباً بعض الماء فقد نال العطش منه، أخذ ينادي بصوت عالٍ جداً حتى انتبه مسافر إليه، تسمّر مكانه، لم يصدق ما رآه، أخرج من جيبه هاتفه وبدأ بالتصوير دون أن يلتفت لطلبه..

أيمن: هاااااي.. أنا هنا.. أريد ماءً.. أعطيني الماء.. أرجوك..

اجتمعت عليه الشرطة وطاقم الطائرة مع الحماية المدنية، وتم نقله للمستشفى على جناح السرعة.

أيمن الآن في فرنسا، التقى أطباء جزائريين استقبلوه وأحسنوا معاملته، لقد حقق حلمه أخيرا رغم أنه كان يعلم علم اليقين أنه سيتم ترحيله فور شفائه، لكن الحياة فتحت ذراعيها أمام أيمن، سيغيّر حياته بعد أن بدأ الدراسة في فرنسا وقرّر أن يستقر فيها إلى أن تتغيّر حياته إلى الأفضل.

ها أنا ذا أسترجع ذكريات المشاكل التي تبدأ مع أول خطوة تخطوها بالمطار، وها أنا ذا أعيشها بعد أن نسيتها لمدة. دفعت جواز سفري لشرطة الحدود بعد انتظار مرور ذاك الطابور الطويل الذي بدا دون نهاية، وبعد فترة قصيرة أخذ الشرطي يرمقني بنظرات غريبة، يحدق في وجهي وعيوني تارة ثم يعود لرفع جواز السفر كأنه يتأكد ما إذا كان الشخص الذي في الصورة حقا أنا، ليغمس وجهه داخل حاسوبه متأكدا ثانية، وظل على هذه الحال، يمرر ناظريه بيني وبين الجواز والحاسوب.

- سيدي هل هناك خطب ما؟ هل من سؤال؟

- لا تقلق سيدي، فقط اسمك ضمن قائمة المبحوث عليهم، ...

- ربما أنت مخطئ يا "شاف"، تأكد مما تقوله.

-أخبرتك ألا تقلق، سوف نتأكد من الأمر.

- يا "حضـــرات" من فضـــلك عليَّ المغادرة بســـرعة، أمي توفيت والأهل ينتظرونني لأجل الدفن.

- أعتذر، ربي يرحمها ويلهمكم الصبر. لكن يجب أن أقوم بالإجراءات.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، أخبرتك أنك مخطئ، ليس لدي أية مشـــكلة مع الدولة.

لم يدخل الضابط في نقاش مع أمين فقط كان منهمكاً في الاتصال بالفرقة الخاصة ليتم تحويله إلى مركز الأمن الحضري بالبيت السوداء، هناك وجد ضـــابطا آخر، قام بمواصـــلة الإجراءات، بداية بأول مرحلة، بالطبع فتح محضر، طُرحت عليه عدة أسئلة بدأت باسمه، اسم أبيه، اسم أمه، تاريخ ميلاده... بعدها قام الضـــابط بعدة محاولات من أجل طباعة المحضـــر دون جدوى، أخذ يطفئ الطابعة ويعيد تشـــغيلها ويفعل ذات الأمر مع جهاز الكمبيوتر فتلك قناعة جزائرية أن كل شيء معطل يمكن إصلاحه بزر إعادة التشـــغيل، وتارة ينزع الكوابل والصـــبر بدأ ينفذ، والحمد لله طبعت أوراق المحضر قبل ذلك.

بعد الانتهاء من الإجراءات اللازمة بمكتب التحقيقات وقع أمين وبصم بالسبابة اليسرى على خمسة نسخ من المحضر المحرّر من طرف ضابط الشرطة، كانت تهمته، المساس برموز الدولة فمن يكتب عن الرئيس بسوء تسلط عليه عقوبات ويطبق عليه القانون.

حصلوا على رواية أمين التي أرسلها عن طريق الايمايل للمشاركة في مسابقة وطنية، وبعد قراءتها من طرف اللجنة تبيّن أنه كان يكتب على رئيس الدولة، تم أخذه مباشرة وهو لا يعلم إلى أين.

الساعة تشير إلى 17:30 من يوم الخميس، وكيل الجمهورية غير موجود بمكتبه، ما استدعى الابقاء على أمين تلك الليلة داخل مركز الشرطة حيث قضى ليلته الأولى في المخفر، لم يكن يستوعب أي شيء مما يدور حوله، الجمعة والسبت في الجزائر أيام عطلة، فاضطر بسبب ذلك لقضاء ليلتين أخريين وأضافوا إليها ليلة الخميس لتصبح ثلاث ليال كاملة، حرموه رؤية أمه حتى ميتة، وفي صباح يوم الأحد مُثِّلَ أمام وكيل الجمهورية.

شاعت بين سكان الحي عدة أخبار وأقاويل حول غياب أمين عن الجنازة، أثار الأمر تعجب الجميع، كيف لابن المرحومة التخلف عن تشييع جثمان أمه إلى مثواها الأخير.

استمع وكيل الجمهورية للقصة وفهم الموضوع جيّداً، كما أنه اقتنع أن ما كتبه أمين في نصه الروائي "حمار جحا" لا يمت بأي صلة لرئيس الجمهورية، ولا يقصد بأي شكل من الأشكال الإساءة إليه أو لرموز الدولة، كل الموضوع كان سوء تفاهم.

رغم ذلك لم ينفذ أمين من المحاسبة، حُكِم عليه بثلاثة أشهر سجن غير نافذة وغرامة مالية، ثم أطلق سراحه بعد الجلسة مباشرة، والتي حضرها أخوه الأكبر الذي عَلِم بالأمر بعد محاولات عديدة للاتصال بأمين، عادا حينها مباشرة إلى المنزل.

كم كانت خيبته وألمه كبيرين بمجرد الوصول لباب المنزل، هبت ريح ذكريات الحبيبة التي كانت دائما تقف أمام الباب، حين تودعه وحين تستقبله عائدا، تعبر عن حبها بتحضير أطباقه المفضلة للغداء أو العشاء، حتى وإن وصل متأخراً، يجدها ساهرة تنتظر وصوله لتتأكد من سلامته قبل

أن تأوي لفراشـــها، إنها أمه الغالية التي لا يعوض وجودها شـــيء في العالم، ليته لم يعد إلى المكان الذي يفيض بالذكريات، يرغم عقله على عيشـــها، لكنها صارت الآن وجعا.

مرت قرابة الســـت أشـــهر تقريبا، ظل فيها أمين بالجزائر، إلى أن تم قبوله في برنامج تطوعي مدته اثنى عشـــرة شـــهراً، كان ذلك إثر تســـجيله في موقع خاص بالمتطوعين لدولة الســـويد عبر الانترنت، وها قد انطلقت رحلة تجهيز الوثائق المطلوبة مجددا، ودفع ملف طلب التأشـيرة ثم بدأ في تحضـير كل ما يلزمه للسفر، ماذا ستحمل الرحلة هذه المرة يا ترى؟ وماذا تخبأ لها الأيام؟

حمار قطط

محمد لراشيش

رواية

إنّ حظي كوردٍ في بستانٍ زرعوه
وقالوا لأطفال يوم عيد اقطفوه
سهُل القطف عليهم ثم قاموا يضحكون
إن من أغناه ربي كيف لكم أن تحسدوه

جمعية الفكر والإبداع الثقافي
إصدارات جمعية الفكر والإبداع الثقافي

ردمك: 978-9931-851-03-5

9 789931 851035

تصميم الغلاف: ساخر أحمد
Designed by Ahmed sakher